حقيقة المغول وتطور حروبهم في العالم الإسلامي وصولاً إلى معاركهم حول حمص بين 658 -803هـ/1262- 1401م

الباحثة : د. أمية الغزي

كلية: الآداب جامعة: دمشق

ملخص

سقطت الخلافة العربية الإسلامية في بغداد بعد تعرضها لهجوم مدمر من قبل المغول سنة 656هـ/1260م لم يشهد التاريخ مثيلاً له، واستمر الزحف المغولي الهمجي حتى وصل إلى أقصى جنوب بلاد الشام ولم يقف في وجهه سوى دولة المماليك في مصر والشام والتي كانت تتخذ من القاهرة مقراً لسلطنتها، حيث تم تغيير المعادلة في معركة عين جالوت، وكانت لنيابة حمص دور فاعل ومؤثر في المعارك التي جرت ضد المغول والصليبيين بآن واحد.

حاولت هذه الدراسة الإجابة عن الأسئلة التالية:

1- من هم المغول وماهي قوانينهم وطبيعة حياتهم.

2- لماذا توجه المغول إلى البلاد الإسلامية.

3 - المعارك التي جرت مع المغول حول حمص.

وتم تحليل طبيعة حياة المغول المتنقلة، ومعتقداتهم الدينية، واختراع جنكيز خان قوانين خاصة بهم سماها الياسق من بنات أفكاره. ومن ثم أسباب توجه المغول إلى المشرق الإسلامي، وتدمير دوله وحضارته. وحقيقة المعارك التي جرت بين المغول والمماليك حول حمص وأسبابها ونتائجها. وبينت النتائج أن سبب تدمير المغول هذه البلاد هي الهمجية التي تربوا عليها، وغباء الحكام، وضعف

الجيوش، والهوة السحيقة ما بين الحكام والشعوب. وحين وُجد القادة الذين يهتمون بأمور الدولة وشعبها، ورفعوا شعار الجهاد ضد المحتل، تم تحقيق الانتصارات.

مفتاح الكلمات:

المغول، الياسق، الاحتلال، المشرق، الجهاد.

Abstract

The Arab Islamic caliphate fell in Baghdad after being subjected to a devastating attack by the Mongols in the year 656 AH / 1260 AD, the like of which history has not witnessed. Sultanate, as the equation was changed in the battle of Ain Jalut, and the Homs prosecution had an active and influential role in the battles that took place against the Mongols and the Crusaders at the same time.

This study attempted to answer the following questions:

1- Who are the Mongols, what are their laws and the nature of their lives?

2-Why did the Mongols go to Islamic countries?

3-The battles that took place with the Mongols around Homs.

When there were leaders who care about the affairs of the state and its people, and raised the slogan of jihad against the occupier, victories were achieved.

Key words: The Mongols, Al-Yasq, the occupation, the East, the Jihad.

مقدمة:

لم يبتل الإسلام والمسلمون منذ نشأة دينهم بمثل ما أصابهم من المغول، فهؤلاء الأقوام احتلوا الأرض وسارت جيوشهم فيها كالسحاب، وقتلوا الرجال والنساء والأطفال، وكانوا أحياناً لا يبقون على أحد حتى الأجنة في بطون أمهاتهم، ففي أقل من سنة احتلوا ودمروا الشرق الإسلامي. ثم عبروا إلى الغرب، وملكوا أكثر المعمورة، ولم يبق أحد في البلاد التي لم يصلوا إليها إلا وهو خائف منهم ويترقب وصولهم، ووصلوا إلى عاصمة الخلافة الإسلامية بغداد، فأباحوها ودمروها وقتلوا خليفتها، وامتد بطشهم إلى بلاد الشام حتى الحدود المصرية، وقتلوا الملوك والحكام وأنزلوهم عن عروشهم، وكان شعارهم القتل والتدمير، حتى استطاع المماليك إيقاف زحفهم والانتصار عليهم في معركة عين جالوت 658ه/1260م. ومن ثم بدأت بعض الانتصارات للمسلمين والانكسار للمغول، ماهي أهم المعارك التي خاضوها حول مدينة حمص. ومن هم المغول؟ وما هو سير جرائمهم في الدولة العربية الإسلامية؟ وما حقيقة معارك حمص التي ذكرها المؤرخون؟ وهل ادّع الحمصيون الجنون لتجنب الاحتلال كما يروج البعض في بعض وسائل التواصل الاجتماعي؟

– مشكلة البحث وأهميته:

يسعى البحث للتقصي عن حقيقة المغول والعلاقة مابين المشرق العربي الإسلامي والمغول وتبيان معاركهم حول حمص، والبحث يشكل مادة علمية للمهتمين بالتاريخ الإسلامي.

– أهداف البحث:

تعريف قبائل المغل وديانتهم وعاداتهم وأسباب توجههم إلى البلاد العربية الإسلامية، ودراسة المعارك المتبادلة التي جرت حول مدينة حمص.

–الدراسات السابقة:

هناك دراسات تحدثت عن المغول والجديد هو التعمق في معرفة الأسباب الحقيقية لتوجههم نحو البلاد العربية الإسلامية والمعارك التي جرت حول مدينة حمص.

-عرض البحث:

شعوب المغل:

1- تعريف المغول:

شعب كبير من الأمة التركية، ومنه تتفرق معظم بطونها وأفخاذها، مساكنهم جبال طمغاج نحو الصين، وكانوا مشهورين عند قدماء اليونان باسم سيتيا أو أسكوتيا، ومؤرخوا الترك يقولون: ألنجة خان أحد ملوك الترك في الأزمنة القديمة له ولدان توأمان هما تتار خان ومغل خان. تناسلت ذرية الأخوان وشكلوا قبيلتين واستمروا في ود وصفاء إلى أن وقع النزاع بين الشعبين في عهد إيلخان ملك المغل وسونج خان ملك التتر، وجّر هذا النزاع إلى حروب طويلة انتصر فيها التتار وقتل ملك المغل ايلخان، وصارت السيادة للتتر، فاستعبدوا المغل مدة طويلة، إلى أن جمع المغل جموعهم واتحدوا وقاموا بحرب التتر وكسر شوكتهم، فعادت السيادة إلى المغل وصار الملك متوارثاً فيما بينهم إلى زمن يوكي بهادر خان والد جنكيز خان، ولقد عرفهم المؤرخون العرب وعلى وجه الخصوص الذين عاصروا أحداث المغول وغزواتهم للعالم الإسلامي بأنهم التتر[1]، وقد نهج منهجهم من جاء من بعدهم لمعظم المؤرخين، ولم يقتصر الأمر على المؤرخين العرب المسلمين بل سار على ذلك التعريف المؤرخون والرحالة الأوربيون الأقدمون، إلا أن المستشرقين الكبار أمثال بريتسكندر وبارثولد الروسيين وسيولر الألماني وبويل الإنكليزي وغيرهم، عرفوا الفرق بين التتر والمغول وذلك من خلال ما كتبه المؤرخ رشيد الدين الوزير،

[1] – الخضري، محمد: تاريخ الأمم الإسلامية، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، 1970م. ص468.

في كتابه" جامع التواريخ" ويمكن القول: أن التتار مغول وليس المغول تتار، فالتتار شعبة متفرعة من المغول وليس المغول فرع من التتار، فالأصل هنا هم المغول وأن التتار تلاشوا على يد الزعيم المغولي وأصبح المغول هم أصحاب الدولة، وأن الإمبراطورية التي أسسوها هي المغول وليست التتار[2]. فلمن الفضل في تأسيس هذه الامبراطورية؟

2- جنكيز خان:

يعد جنكيز خان مؤسس الامبراطورية المغولية فمن هو؟

ولد جنكيز خان سنة 549ه/1154م وكان اسمه في صغره تموجين، توفي أبوه وعمره 13 سنة ثم مات بعده مدبر دولته سوغة جمش، فاستضعفته قبائل المغل وتفرقوا عنه، لكن جنكيز خان كانت لديه همة عالية فنجح في لم شعث قبائله، وحارب جميع قبائل الترك فانتصر عليهم بعد حروب طاحنة، ودخل تحت طاعته جميع زعمائهم، فصارت له مملكة واسعة مسكونة من تلك الأمم بأعداد كبيرة، تمتد من سيبريا شمالاً والتيبت جنوباً ومنشوريا شرقاً وتركستان غرباً مسكونة من تلك الأمم بأعداد كبيرة، وعاصمة ملكه قراقروم[3].

3- ديانتهم:

ماهي المعتقدات الدينية لهؤلاء الأقوام؟ كانوا يسجدون للشمس عند طلوعها ولا يحرّمون شيئاً، ويأكلون جميع الدواب الحية والميتة ومنها الكلاب والخنازير وغيرها، ولا يعرفون نكاحاً بل المرأة يأتيها غير واحد من الرجال وإذا جاء الولد لا يعرف أباه.[4] وقد جاء في حديث لأحد ملوكهم وهو منكو خان في لقائه مع الرحالة

---

[2] – الغامدي، سعد: سقوط الدولة العباسية ودور الشيعة بين الحقيقة والاتهام، مكتبة التوبة للنشر والتوزيع، الرياض، 2004م ص54.

[3]– الخطيب، إبراهيم ياسين: تاريخ المغول والمماليك، دار شيرين، عمان، 1993م، ص28.

[4] –ابن الأثير، عز الدين علي محمد، ت. 630ه/1232م: الكامل في التاريخ، دار صادر، بيروت، د.ت. ج12، ص360.

رويركي:" نحن المغول نعتقد أن هناك إلهاً واحداً له نحيا وله نموت، لكن الله أعطى اليد أصابع مختلفة وكذلك أعطى الناس طرقاً مختلفة، وقد أعطانا الشماناس ونحن نفعل ما يأمرونه"، وفي تعريف الشماناسية: هي تتمثل بعبادة مظاهر الطبيعة وخاصة الشمس، وتمتاز بشدة الطاعة لكهنتها"، ولكن بعد احتلالهم لمناطق شاسعة واختلاطهم بأقوام متعددي الأديان هل بقوا على ماهم عليه من العبادات، في الواقع لم يكن جنكيز خان متحمساً لدين معين وأما أولاده فمالوا مع رغباتهم، فمنهم من مال إلى الإسلام ومنهم من مال إلى المسيحية أو اليهودية وآخرون إلى عبادة الأصنام وغيرهم حسب قاعدة آبائهم وأجدادهم[5].

4- طبيعة حياتهم:

لقد أثرت البيئة التي عاشوا فيها تأثيراً كبيراً على حياتهم، فمناخها القاري والسعي وراء الأعشاب لرعي الماشية والأغنام فرضت عليهم نمطاً معيناً من الحياة، وأدى تنقلهم الدائم إلى العيش في بيئات مختلفة، فعندما يكونون بالقرب من الأنهار والغابات يعيشون على صيد الحيوانات في الغابات وعلى صيد الأسماك في الأنهار، وعند الانتقال إلى المراعي كانوا يعيشون على تربية النحل والخيل والماشية، وأدى هذا التحرك الدائم والمعاناة في الجهد والتعب إلى حب المخاطر وحب التسلط والشجاعة، وكان لباسهم من جلود الحيوانات مما كان يعطيهم رائحة كريهة وأيضاً سرعة في الحركة، وكانوا يجيدون إطلاق السهام والرماح والطعن بالسيوف حتى وهم يمتطون الجياد المسرعة؛ كل ذلك جعل من رجالهم عبارة عن جنود بارعين وجاهزين في كل لحظة، وكذلك النساء كن يتعلمن فنون القتال. وعندما جاء جنكيز خان واستطاع توحيد القبائل تحت حكمه نظّم لهم حياتهم, ووضع لها قانون خاص بهم، فما هو؟

[5]- القزاز، محمد صالح: الحياة السياسية في العراق في عهد السيطرة المغولية، مطبعة القضاء، النجف، 2019م ص20.

5– قانون المغول(الياسق)[6]:

بعد أن قضى جنكيز خان على معارضيه، فكر في ترقية هذا المجتمع بوضع نظام خاص صارم يكون لهم ديناً يسيرون على مقتضاه، فوضع الياسق أو الياسة وهو كتابهم الذين إليه يرجعون في معاملاتهم وأحكامهم، والذي تأثر بالنسطورية والطاوية(الديانة الصينية) والإسلام، مع تعديل لبعض عادات المغول، ومما شرعه فيها:

–من زنى يقتل لا فرق بين محصن وغيره.

– من تعمد الكذب أو تجسس على أحد أو دخل بين اثنين يتخاصمان وأعان أحدهما على الأخر قتل.

– من بال في الماء أو على الرماد قتل.

– من أطعم أسير قوم أو كساه بغير إذنهم قتل.

– منع أن يقال لشيء أنه نجس، فإنه جميع الأشياء طاهرة.

– تكتف قوائم الحيوان ويشق بطنه ويمرس قلبه إلى أن يموت، ثم يؤكل لحمه(لأن من ذبح ذبح المسلمين يقتل).

– من وقع حمله أو قوسه أو شيء من متاعه وهو يكرّ أو يفرّ في حال القتال وكان ورائه أحد فإنه ينزل ويناول صاحبه ما سقط منه، فإن لم يفعل وينزل ويناوله قتل.

---

[6] – الياسق: اليسق هو الترتيب، وأصل الكلمة ياسا، والياسا مجموعة قوانين خمنها جنكيز خان من عقله فيها أحكاماً وافق القليل منها الشريعة الإسلامية، وأكثرها خالف لذلك، ابن تغري بردي، جمال الدين يوسف ت. 874ه/1469م: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، دار الكتب، مصر، د.ت.،ج6، ص238، حاشية رقم 3؛ الخطيب، مصطفى عبد الكريم: معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1996م،ص446.

– ألزم قومه أن لا يأكل أحد من يد أحد حتى يأكل المتناول منه أولاً ولو أنه أمير ومن يناوله أسير.

– إن مرّ أحد بقوم وهم يأكلون فله أن ينزل ويأكل معهم من غير إذنهم وليس لأحد أن يمنعه.

–منعهم من غسل ثيابهم، بل يلبسونها حتى تبلى.

– منعهم من تفخيم الألفاظ ووضع الألقاب، وإنما يخاطب السلطان ومن دونه باسمه فقط.

– ألزم العساكر عند الخروج للقتال بوضع كل ما يحتاجه معه حتى الإبرة والخيط، ومن وجد عنده نقص في شيء يعاقب.

–ألزم نساء العسكر بالقيام بما على الرجال في مدة غيابهم في القتال.

– ألزمهم عند رأس كل سنة بعرض بناتهم الأبكار على السلطان ليتخذ منهم لنفسه ولأولاده[7].

والملاحظ من هذا القانون أنه عبارة عن خليط من العادات والتقاليد من جهة، والأعراف المتبعة في الديانات الأخرى من جهة أخرى، وأضاف عليها رؤى وتعليمات توافق توجهاته العسكرية والتحضير للحروب، وبالصرامة التي تميزت به هذه الأحكام كانت كفيلة باخضاع هذه القبائل الهمجية وترويضها وتوحيدها وابعاد الفوضى فيما بينهم، ونظم العلاقة بين الحاكم والمحكوم، والأفراد فيما بينهم.

غزو المغول للبلاد الإسلامية:

كانت الدولة العربية الإسلامية في ذاك العصر مترامية الأطراف، وهي تصل إلى بلاد ما وراء النهر(خراسان) والتي تضم سمرقند[8] وبخارى[9] وغيرها من المدن،

[7] – روى أحمد بن البرهان أنه رأى نسخة منها بخزانة المدرسة المستنصرية في بغداد ونقلها المقريزي في خططه. الخضري: تاريخ الأمم الإسلامية، ص469.

وكانت ولاية تابعة لخوارزم شاه. والخليفة العباسي هو الناصر لدين الله[10]، الذي له السيادة الروحية، أما القوة العسكرية والسياسية فقد زالت عن الخلافة ولم يعد لهذا الخليفة من القوة إلا أن يطلب الدعوة على المنابر وفي صلاة الجمعة أو المناسبات أو الأزمات وأن يوفق الله المسلمين أو الاستنفار للجهاد[11].

وقد أكثر المؤرخون في ذكر الأسباب التي دعت جنكيز خان للخروج إلى البلاد الإسلامية، ولكن أكثرها تردداً أنه في سنة 612هـ/1215م أرسل جنكيز خان رسلاً إلى خوارزم شاه وكانوا من كبار المسلمين الذين يقيمون في بلاده يطلب منه أن يعاهده لتردد التجارة من كل جانب إلى الآخر، وأرسل معهم هدايا عظيمة، وأجابه خوارزم شاه إلى ذلك، ومكث الأمر على ما اتفق عليه، وكان التجار يترددون آمنين مطمئنين.[12] وفي سنة 615هـ/1218م سافر تجار من بلاد جنكيز خان حتى وصلوا إلى بلدة أترار وهي بلدة في أقصى الحدود الشرقية لدولة خوارزم شاه، وبها حاكم كان من قبله يدعى ينال خان، فلما ورد التجار وكانوا زهاء 400

---

[8] – سمرقند: مدينة حسنة كبيرة من خراسان، لها أربعة أبواب، كثير الخصب والفواكه، الحميري، محمد بن عبد الله ت.900هـ/1499م: الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة، ط2، بيروت،1980م. ج1، ص322.

[9] – بخارى: بلد واسع من بلاد خراسان كثير الشجر، الحميري: الروض المعطار، ج1، ص82.

[10] – أبو العباس أحمد بن المستضيء بأمر الله أبي محمد الحسن، ولد سنة 553هـ/ 1158م، امتدت سنين حكمه بين سنة 577–623هـ/1180–1225م، الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان ت.748هـ/1347م: سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط3، بيروت، 1985م، ج22، ص192، رقم131.

[11] – عمران، محمود: المغول والأوربيون والصليبيون، مكتبة النور، الاسكندرية، 2009م، ص16.

[12] – محمد، محمد صالح: عودة الروح للخلافة الإسلامية، دار طويق للنشر والتوزيع، الرياض، 2004م، ص181.

شخص ومعهم أموال كثيرة، طمع ذلك الوالي في أخذ أموالهم، وأرسل إلى خوارزم شاه يخبره أن هؤلاء جواسيس جنكيز خان قد قدموا في زي تجار، فأمره بقتلهم وأخذ أموالهم، فسارع ذلك الوالي إلى ذلك، وأرسل إلى خوارزم شاه ما كان معهم من أموال وبضاعة، وفرق البضاعة على تجار بخارى وسمرقند وأخذ ثمنها[13]، فلما بلغ جنكيز خان ذلك، أرسل إلى خوارزم شاه يطلب منه تسليمه ذلك الوالي ليقتص منه، فلم يكن من خوارزم شاه إلا وتصرف تصرفاً أحمق غير معهود في عادات الملوك والعرف والتقاليد الإسلامية وقام بقتل الرسول، فلما بلغ ذلك جنكيز خان غضب وصمم على قصده وحربه، وكان هذا السبب كافياً للبدء في تدمير الشرق الإسلامي على يد المغول، وبغض النظر عن ما ذكر لأسباب أخرى للغزو ومنها اتصال الخليفة الناصر بجنكيز خان وتحريضه على مهاجمة خوارزم شاه لكره بينهما[14].

علم خوارزم شاه أنه جّر بلاده إلى حرب غير مبررة وذلك بعد إرساله جواسيس إلى بلاد جنكيز خان ورأوا كثرة عددهم واستعدادهم للحرب، فاستشار أرباب المشورة، فأشاروا عليه أن يتركوهم يعبرون نهر سيحون[15] ويلقونهم ويقاتلوهم، لكن جحافل المغول الجرارة عبرت نهر سيحون وبدأت المعارك الطاحنة بين

---

[13] – ابن العبري، أبو الفرج غريغوريوس بن أهرون ت.685هـ/1186م: تاريخ مختصر الدول، تحقيق: أنطون صالحاني اليسوعي، ط3، دار الشرق، بيروت، 1992م، ص400؛ العودة، سليمان: كيف دخل التتار بلاد المسلمين، ط3، دار طيبة، القاهرة، 2001م، ص23.

[14] – محمد: عودة الروح للخلافة الإسلامية، ص191.

[15] – نهر سيحون: نهر كبير بما وراء النهر قرب خجندة بعد سمرقند، يجمد في الشتاء حتى تجوز على جمده القوافل، وهو في حدود بلاد الترك، الحموي، شهاب الدين ياقوت بن عبد الله ت.626هـ/1228م: معجم البلدان، دار صادر، ط2، بيروت، 1995م، ج3، ص294.

الطرفين، ثم سارت إلى بخارى وكان بها 20 ألف من الجنود الخوارزمية، فتركوا المدينة لعدم قدرتهم على التصدي لهم، ودخل جنكيز خان المدينة في 14 ذي الحجة سنة 616هـ/ 1219م وأخذ كل ما هو للسلطان خوارزم شاه من ذخيرة وغيرها، وأخذ من التجار أمتعة تجارة التي باعهم إياها خوارزم وأخرج أهلها مجردين من أموالهم وأعمل فيها النهب والقتل لكل من وجدوا فيها، ثم أمر أصحابه بأن يقتسموا الناس ما بين غني وفقير، فاقتسموهم، ثم قتلوا الفقراء وأخذوا أموال الأغنياء وأهانوهم وذلوهم، وأخذوا الحرفيين والصناع معهم، وأصبحت بخارى تلك المدينة العظيمة خاوية على عرشها[16]. ثم دخلوا سمرقند وكان فيها 50 ألف من جند خوارزم شاه، فقاتلهم العساكر المغولية واحتالوا عليهم بأن تقهقروا أمامهم وأهل سمرقند يتبعونهم، لكن المغول كانوا قد أعدوا لهم كميناً يأتيهم من الخلف، فلما تجاوزوا الكمين خرجوا عليهم وحالوا بينهم وبين البلد، ورجع عليهم الباقون من الأمام، فقتلوا منهم مقتلة كثيرة، فلما رأى الباقين من أهل البلد ذلك أيقنوا الهلاك، فطلبوا الأمان وفتحت البلد، وخرجوا إلى المغول بأهلهم وأموالهم، فطلبوا منهم نزع أسلحتهم، ولما فعلوا ذلك قتلوهم عن أخرهم، وهكذا فعل المغول بسمرقند ما فعلوه ببخارى [17]. ولما تم لجنكيز خان ذلك سير عشرين ألفاً من أشداء جنوده وطلب منهم ملاحقة خوارزم شاه أينما كان ولو تعلق بالسماء، فساروا وعبروا جيحون[18]، وكان خوازم شاه مقيماً بغربيه يستعد وقد ملأ قلبه رعباً، فلما علم بمقدمهم ترك

---

[16] – ابن الأثير: الكامل، ج12، ص365.

[17] – ابن الأثير: الكامل، ج12، ص366؛ السرجاني، راغب: قصة التتار من البداية إلى عين جالوت، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، الكويت، 2009م، ص30.

[18] –جيحون: اسم وادي خراسان على وسط مدينة يقال لها جيحان ويجيء من موضع يقال له ريو ساران وينضم إليه أنهار أخرى، ويصب في بحيرة خوارزم، الحموي: معجم البلدان، ج2، ص196.

مكانه وقصد مدينة نيسابور[19]، فلم يكد يستقر بها حتى أدركه جنود المغول، فطار إلى مازندان[20] والمغول في أثره، ولم يعرجوا على نيسابور، فكان كلما رحل عن منزلة نزلوها، فوصل إلى مرسي من بحر طبرستان[21] يعرف باب سكون وله هناك قلعة في بحر الخزر تدعى جزيرة أوغلي تشالي، فلما نزل هو وأصحابه من السفن وصل المغول ووقفوا على ساحل البحر، ولما يأسوا باللحاق بخوارزم شاه رجعوا، وذكر أن خوارزم شاه توفي في 22 ذي الحجة سنة 617هـ/ 1220م في هذه القلعة[22].

لما يأس المغول من اللحاق بخوارزم شاه، ساروا إلى مازندان، فملكوها في أسرع وقت مع حصانتها وصعوبة الدخول إليها، ثم ساروا نحو الرّي[23] وقد انضم إليهم الكثير من العساكر الإسلامية وغير الإسلامية من المفسدين الذين يريدون النهب، فملكوا الرّي وفعلوا بها الأفاعيل، وكانوا ينهبون في طريقهم كل قرية مروا عليها، ثم ساروا إلى همذان[24] فطلب صاحبها الأمان، فأمنوه، ثم وصلوا إلى قزوين

---

[19]– نيسابور: بلد واسع من بلاد خراسان، وهي مدينة جميلة في مستو الأرض وأبنيتها من طين وهي قديمة ولها أربعة أبواب، الحميري: الروض المعطار،ج1، ص588.

[20] – مازندان عند الحموي هي نفس طبرستان وهي بين الري وقومس والبحر وبلاد الديلم والجبل، وهي كثيرة المياه والأشجار، معجم البلدان، ج4، ص13.

[21] – بحر طبرستان: هو المسمى بحر الخرز وهذا البحر منقطع غير متصل بشيء من الماء، طوله ثمانمئة ميل وعرضه ستمائة ميل، وفي أربع جزائر، وهو بحر مظلم لا مدّ فيه ولا جزر، الحميري: الروض المعطار، ج1، ص383.

[22] – ابن الأثير: الكامل، ج12،ص371؛ أحمد، حمدي: سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي، دار الفكر العربي، القاهرة،1953م، ص107.

[23]– الريّ: كورة تنسب إلى الجبل وليست منه وهي أقرب إلى خراسان، وبقربها دنباوند وطبرستان وقومس وجرجان، الحميري: الروض المعطار، ج1، ص278.

[24] –همذان: مدينة كبيرة من عراق العجم من كور الجبل، الحميري: الروض المعطار، ج1، ص596.

فدخلوها عنوة، ويقدر من قتل من أهلها نحو أربعين ألفاً، ثم ساروا إلى أذربيجان فوصلوا تبريز[25] وصالحهم صاحبها أوزبك بن البهلوان، فساروا عنه إلى ساحل البحر ليشتوا بقربه، لأنه يكون قليل البرد والمراعي به كثيرة لأجل دوابهم، فوصلوا إلى موقان[26]، وتطرقوا في طريقهم بلاد الكرج وقتلوا أكثرهم، وأرسل الكرج إلى أوزبك خان يطلب منه الاتفاق معهم على دفع المغول، وكذلك أرسلوا إلى الملك الأشرف ابن الملك العادل[27] صاحب خلاط[28] وديار الجزيرة يطلبون المساعدة، وظنوا أن المغول لا يتحركون حتى ينحسر الشتاء، فلم يفعلوا ذلك بل ساروا نحو بلاد الكرج وانضاف إليهم مملوك تركي من مماليك أوزبك اسمه آقوش وجمع أهل تلك الجبال والصحراء من التركمان والأكراد وغيرهم، فملكوا حصناً من حصونهم وخربوه ونهبوا البلاد وقتلوا أهلها، حتى وصلوا إلى تفليس[29] وقاتلوا الكرج الذين خرجوا بحدها وحديدها، لكنهم انهزموا بعد قتال ضار وقتل منهم عدد لا يحصى وذلك في ذي القعدة سنة 617هـ/1220م.

وعاد المغول إلى مراغة[30] سنة 618هـ/1221م فملكوها في صفر ووضعوا السيوف في أهلها ونهبوا ما صلح لهم وما لايصلح أحرقوه، ثم رحلوا عنها قاصدين

---

[25] – تبريز: في خراسان من عمل أذربيجان، الحميري: الروض المعطار، ج1، ص130.

[26] – موقان: ولاية فيها قرى ومروج كثيرة تحتلها التركمان للرعي وهي في أذربيجان. الحموي: معجم البلدان، ج5، ص225.

[27] – الأشرف أبو الفتح موسى بن العادل، أحد ملوك الدولة الأيوبية، ولد سنة 576هـ/ 1180م بالقاهرة، وتوفي سنة 635هـ/ 1237م، الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج22، ص122، رقم 84.

[28] – خلاط: من مدن أرمينية، الحميري: الروض المعطار، ج1، ص220.

[29] – تفليس: بلد في أرمينية، الحموي: معجم البلدان، ج2، ص35.

[30] – مراغة: من أشهر بلاد أذربيجان، الحموي: معجم البلدان، ج5، ص93.

مدينة إربل[31]، وعندما سمعوا باجتماع العسكر هابوا الهجوم عليها لخوفهم أن تجتمع جنود المسلمين عليهم من العراق وغيرها، وعادوا إلى بلادهم، فغادروا إلى همذان، وساروا إلى أذربيجان ومنها ساروا إلى دربند شروان[32] فاستولوا على مدينة شماخي[33] عنوة، وخرجوا من الدربند إلى البلاد الشمالية وهي دشت القفجاق, وفيها أمم كثيرة تركية، فأمعن المغول فيها قتلاً وسبياً، وتفرقوا في جميع الأقطار وذلك في سنة 620هـ/1223م- وكان هذا أول ورود للماليك القفجاقية إلى البلاد المصرية- فاشترى منهم الصالح أيوب مماليكه البحرية؛ ملوك مصر بعد الدولة الأيوبية ومنهم المعز أيبك والمظفر قطز والمنصور قلاوون وغيرهم[34]. وهذه أخبار المغول المغربة. فما سبب هذا التمدد المغولي السريع والانهيار الإسلامي المقابل؟

1- أسباب الهزائم أمام المغول:

- من أعظم الأمور على المسلمين كانت أن سلطانهم خوارزم شاه قد عدّم لا يعرف حقيقة خبره، فتارة يقال مات عند همذان وأخفي موته، وتارة دخل أطراف بلاده ومات هناك وأخفي أثره، وتارة يقال إلى طبرستان وركب البحر وتوفي في جزيرة هناك، فأصبحت بلاد خراسان وبلاد فارس سائبة لا سلطان يتولى التخطيط والدفاع عنها(أي لا يوجد رأس في الدولة).

[31] - إربل: قلعة شمال بغداد بينهما سبعة أيام وسكانها من الأكراد، الحموي: معجم البلدان، ج1، ص138.

[32] - دربند شروان: مدينة من نواحي باب الأبواب الذي تسميه الفرس الدربند، وهي قرب بحر الخزر. الحموي: معجم البلدان، ج3، ص339.

[33]- شماخي: مدينة عامرة وهي قصبة بلاد شروان في طرف أران. الحموي: معجم البلدان، ج3، ص361.

[34] - ابن الأثير: الكامل، ج12، ص 387.

– كان شاه محمد بعد أن استولى على البلاد قتل ملوكها وأفناهم وبقي هو السلطان على بلاد المسلمين في الشرق، فلما اختفى لم يبق في البلاد من القادة من يمنعهم.

– لقد كان حكم خوارزم شاه بغيضاً من جميع أقاليم شرق العالم الإسلامي ولم يحظ حكمه بالقبول في بلاد خراسان وأقاليم مقاطعاته وأصقاع مدنه، إضافة لعدم تعاون المسلمين غرب إيران والخليفة العباسي مع خوارزم شاه لغلوه في التكبر والغطرسة ومحاولة فرض نفوذه.

– تخاذل بعض تلك المدن كصاحب أذربيجان أوزبك بن البهلوان الذي لم يخرج لقتال المغول ولا حدث نفسه بقتالهم، بل كان همه إدمان الشراب ليلاً ونهاراً لا يفيق، بل وأرسل إليهم الثياب والمال والدواب.

– خروج الفرنج الصليبيين من الغرب إلى بلاد الشام وقصدهم ديار مصر، ووقع المسلمين بين نارين، وكان لزاماً على الولايات أن تقاتل متفرقة دون الأمل باستقدام المساعدات العسكرية.

– انضمام خلق كثير إلى جيوش المغول من سكان تلك المناطق من التركمان والأكراد وغيرهم، كما فعل جماعة أقوش خان مملوك أوزبك خان.

– كان من عادة المغول إذا قاتلوا مدينة قدموا معهم أسارى المسلمين بين أيديهم يزحفون ويقاتلون، فإن عادوا قتلوهم، فكانوا يقاتلون كرهاً، وهم المساكين كما قيل: كالأشقر، إن تقدم ينحر، وإن تأخر يعقر[35]. وكان المغول يقاتلون وراء المسلمين، فيكون القتل في المسلمين الأسارى، وهم بنجوة عنه.

[35] – قصة هذا المثل: كان العرب قديماً يتشائمون من الفرس ذو اللون الأشقر، وكان لقيط بن زرارة يوم جبلة على فرسه أشقر ويقول لفرسه:" يا أشقر إن جريت على طبعك إلى العدو قتلوك، وإن أسرعت منهزماً ما أتوك من ورائك فعقروك، فأثبت وإلزم الوقار وأعف عني وعنك العار"، الأصبهاني، حمزة بن الحسن ت.360ه/970م: الدرة الفاخرة في الأمثال السائرة، دار المعارف، القاهرة، 2007م ج1، ص238، رقم 334.

– حصلت الحوادث والخليفة العباسي المنصور ببغداد لاه بما فيه من عسف الناس وظلمهم وكان جّل همه رمي البندق والطيور، وبقي الناصر في أواخر أيامه ثلاث سنين عاطلاً عن الحركة وقد ذهبت إحدى عينيه والأخرى يبصر بها إبصاراً ضعيفاً في أخر أيامه مبتعداً عن مشاكل الأمة[36].

2– أخبار بقية طوائف المغول:

لما سيّر جنكيز خان طائفة من المغول المغربة خلف خوارزم شاه، أقام بسمرقند وهناك سيّر جيشاً عليه أحد أولاده إلى خراسان، فعبروا النهر وقصدوا مدينة بلخ، فطلب أهلها الأمان، فأمنوهم، وتسلم البلد سنة 617هـ/1220م ولم يتعرضوا لها بنهب ولا قتل، وصاروا يستولون على تلك البلاد شيئاً بعد شيء دون صعوبة أو مقاومة، ولذلك لم يكونوا يتعرضون لأهلها بسوء ولا أذى سوى أنهم يأخذون الرجال ليقاتلوا بهم من يمتنع عليهم، ولم يمض إلا القليل حتى دخلت معظم البلاد الفارسية تحت حكم المغول.

وأرسل جيشاً آخر إلى الشمال ليملك بلاد القفجاق وكان الأمر قد تهيأ لهم بها بعد ما فعله المغول المغربة من إخفاق القوى التي كانت بتلك البلاد، والتي كانت طوائف شتى لا جامعة لهم، فسهل على المغول أن يستولوا على الدشت كله بأسرع ما يمكن، فتم بذلك لجنكيز خان أن يستولي على مساحات واسعة مترامية الأطراف تبدأ شرقاً من بلاد الصين وتنتهي غرباً إلى بلاد العراق وبحر الخزر وبلاد الروس، وجنوباً إلى بلاد الهند وشمالاً إلى البحر الشمالي، وأسس مملكة عظيمة، وذلك في مدة قصيرة.

3– تقسيم البلاد بين أولاد جنكيز خان:

[36] – الغامدي، سعد: الفتوحات الإسلامية لبلاد الهند والسند، مكتبة التوبة للنشر والتوزيع، الرياض، ط1، د.ت، ص559؛ إقبال، عباس: تاريخ المغول منذ حملة جنكيز خان حتى قيام الدولة التيمورية، ترجمة عبد الوهاب طوب، مكتبة المهتدين، 2000م، ص130.

لما أحس جنكيز خان بقرب منيته قسم المملكة إلى أربعة أقسام بين أبنائه الأربعة وهم جوجى وجغطاي وتولي وأوكداي:

– جعل دشت وبلاد القفجاق بأسرها وبلاد الداغستان وخوارزم والروس وما يؤمل أخذه إلى منتهى المعمورة وسواحل البجر الغربي لولده الأكبر جوجى.

– جعل بلاد الغور والتركستان وما وراء النهر بأسره لولده الثاني جغطاي.

– وبلاد خراسان وما يؤمل أخذه من ديار بكر والعراقين إلى ولده الثالث تولي خان.

–أما بلاده الأصلية والخطا والصين إلى منتهى المعمورة الشرقي لولده الرابع أوكداي، وجعله ولي عهده من بعده ويصير قاآنا أو ما يسمى الخاقان (ملك الملوك) على الكل، وأمر الباقيين في متابعته وطاعته ومن خالفه يجب على الباقين حربه. وتوفي جنكيز خان سنة 624ه/1226م, وهكذا قدر للرجل أن يملك أولاده الدنيا بأسرها وسميت دولتهم الدولة العاشرة.

توجه المغول إلى البلاد العربية الإسلامية:

إذا كانت فكرة الانتقام هي من الأسباب لحروب المغول على ولايات المشرق العربي الإسلامي فلماذا تابعوا التوجه نحو الغرب باتجاه مركز الخلافة العربية الإسلامية بغداد وما بعدها؟

1– احتلال بغداد:

استمر تولي خان يتوسع في الغزوات، ويمد بلاده إلى الغرب ويستنزل الملوك عن عروشها حتى توفي سنة 654ه/1256م وكانت بلاده قد أصبحت على تخوم العراق، فخلفه ابنه هولاكو[37]، فقرر التوسع غرباً وأخذ بغداد، وكان بها

[37] – هولاكو بن تولي خان بن جنكيز خان، كان من أعظم ملوك المغول وكان شجاعاً ذو همة عالية وسطوة ومهابة وخبرة في الحروب، غزا العراق والجزيرة والشام وهزم جيوش وأباد الملوك وقتل الخليفة وأمراء العراق وصاحب الشام وصاحب ميافارقين، زوجته تنصرت، ثم عزم على الزواج من بنت ملك الكرج، فقالت: حتى تسلم، فقال: عرفوني ماأقول،

من يحب ذلك؟ إذ كان هناك بين البغداديين نزاع مذهبي مستمر وقد أدى هذا النزاع إلى حروب وشدائد رائدها الجهل والغفلة عن المصالح، وكان وزير الخليفة المستعصم يسوؤه ما يلقاه أهل مذهبه لقلة عديدهم في بغداد، فيقال أن الوزير ابن العلقمي[38] الشيعي كتب إلى هولاكو يحرضه على قصد بغداد ويطمعه فيها، وكان جّل رغبته أن تسقط الخلافة العباسية ولا يهمه من يتولى الحكم فيها، فكانت تلك المكاتبة مما ساعد هولاكو على تنفيذ رغبته وخصوصاً بعد أن عرف مواطن الضعف في رأس الدولة، وأكثر المؤرخين يتهمون ابن العلقمي بهذه التهمة الشنيعة، حتى نقل ابن الوردي[39] في تاريخه ما يؤكد هذه التهمة وهي رسالة أرسلها ابن العلقمي إلى وزير إربل بذلك، وابن طباطبا يبعد هذه التهمة عن ابن العلقمي وقال في تاريخه: "وقد نسبه الناس إلى أنه خامر وليس ذلك بصحيح، ومن أقوى الأدلة على عدم مخامرته سلامته في هذه الدولة فإن هولاكو لما دخل بغداد وقتل الخليفة

فعرضوا عليه الشهادتين، فأقر بها، وشهد عليه بذلك خواجا نصير الطوسي وفخر الدين المنجم، هلك سنة 664هـ/ 1265م وله ستون عاماً، الذهبي: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: عمر التدمري، دار الكتاب العربي، 1987م، ج15، ص105، رقم 147.

[38] – الوزير مؤيد الدين محمد بن علي بن أبي طالب البغدادي وزير المستعصم، رأى هولاكو على قصد العراق فكاتبه وجسره وقوى عزمه ليتخذ منه يداً وليتمكن من أغراضه ثم أوقع فيه قريباً فمات غماً بعد الحاثة بثلاثة شهور، الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج16، ص487، رقم5954.

[39] –ابن الوردي: عمر بن المظفر ت.749هـ/1350م: 1448م: تاريخ ابن الوردي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1996م، ج2، ص189.

سلم البلد إلى الوزير وأحسن إليه وأحكمه، فلو كان خامر عن الخليفة لما وقع الوثوق به"[40].

سارت جيوش هولاكو الجرارة قاصدة بغداد في منتصف محرم سنة 656هـ/1258م وحاصروها، واكتفى الخليفة بإقفال الأبواب، وبعد عشرة أيام ملكوا الأسوار، وبملكها تم لهم ملك البلد، ثم تم قتل الخليفة المستعصم، وبهذا القتل غابت شمس الخلافة العباسية بعد أن مكثت مشرقة 524سنة، وأما بغداد فقد استمر القتل فيها بضعة وثلاثين يوماً وقد بلغ عدد القتلى 800 ألف شخص[41].

2-احتلال بلاد الجزيرة:

لم يضيع المغول الوقت بعد سقوط بغداد، بل قام هولاكو بغارات استطلاعية على الجزيرة الفراتية وجمع معلومات عن أرضها وشعبها وجيشها، ثم توجه إليها وكان هدفه دنيسر[42] ونصيبين ثم حران، وكلف ابنه يمشوط بقيادة فرقة أخرى والسير باتجاه ميافارقين، ووجه فرقة أخرى بقيادة ابن صاحب الموصل بدر الدين لؤلؤ[43] إلى آمد[44]، وبعد صمود ميافارقين ومقاومة ضارية بعد حصارها، وكانت تأمل أن يأتيها إمدادات من الإمارات الإسلامية الملاصقة لها، ولكن هذا لم يحدث،

---

[40] -ابن الطقطقي، محمد بن علي بن طباطبا ت.709هـ/ 1390م: الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، تحقيق: عبد القادر محمد مايو، دار القلم العربي، بيروت، د.ت، ج1، ص320.

[41] – الذهبي: تاريخ الإسلام، ج14، ص670؛ الخضري: تاريخ الأمم الإسلامية، ص482.

[42] – بلدة عظيمة من نواحي الجزيرة قرب ماردين، الحموي: معجم البلدان، ج2، ص478.

[43] – السلطان بدر الدين أبو الفضائل لؤلؤ الأرمني النوري الأتابكي مملوك السلطان نور الدين أرسلان شاه بن السلطان عز الدين مسعود بن مودود بن زنكي صاحب الموصل، تسلطن سنة 630هـ/1233م، ، وتوفي سنة 657هـ/ 1260م، الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج23، ص356، رقم256.

[44] – الحايك، منذر: العلاقات الدولية في عصر الحروب الصليبية، الأوائل للنشر والتوزيع، دمشق،2000م، ج2، ص47.

وبسبب الحصار الطويل سقطت المدينة بعد أن مات معظم سكانها جوعاً، ودخلها المغول سنة 657هـ/1260م وقتلوا ملكها الكامل الأيوبي[45] وقطعوه إرباً وطافوا برأسه في مدن عديدة[46]، واستطاع هولاكو أن يستولي على آمد وحران والرها وسروج وعدد كبير من مدن وحصون إقليم الجزيرة، وقرر إنهاء أمر ماردين وحصونها وامتناعه عنها ريثما يبدأ باحتلال البلاد الشامية، ثم عاد المغول إلى ماردين بعد احتلال حلب، ووفاة حاكمها الملك السعيد[47] في 16 صفر سنة 658هـ/1259م بسبب وباء انتشر في القلعة وهلاك معظم سكانها، فتولى ابنه المظفر[48] الحكم وعقد الصلح مع المغول، وزوّج أخته إلى أحد أمرائهم كوهداي بعد أن أعلن إسلامه[49]،وهكذا غدت إمارة ماردين ولاية مغولية، وأصبحت مركزاً عسكرياً لتجميع الجيوش والقيام بالتهديد المستمر للجهات الغربية من العالم الإسلامي، وشن

---

[45] – الملك الكامل الشهيد ناصر الدين محمد ابن الملك المظفر شهاب الدين غازي ابن السلطان الملك العادل أبي بكر محمد بن أيوب، تملك ميافارقين سنة 645هـ/1248م، الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج23، ص201، رقم 120.

[46]– أبو شامة، شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل ت.665هـ/1266م: الذيل على الروضتين، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2002م، ص201؛ السرجاني: قصة التتار، ص76.

[47] – الملك السعيد نجم الدين إيلغازي صاحب ماردين، توفي في 16 صفر سنة 659هـ/1260م، وقيل في ذي الحجة سنة 658هـ/ 1259م، ابن شداد: الأعلاق الخطيرة، ص203.

[48] – الملك المظفر قرا أرسلان صاحب ماردين، توفي وله ثمانون سنة، ابن شداد، عز الدين محمد بن علي ت.684هـ/ 1309م: الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة، تحقيق: يحي عبارة، ط2، منشورات وزارة الثقافة السورية، دمشق، 2006م، ص204.

[49] – اليونيني، موسى بن محمد ت.726هـ/1325م: ذيل مرأة الزمان، بعناية وزارة التحقيقات الحكمية والأمور الثقافية للحكومة الهندية، ط3، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، 1992م، ص378.

الغارات عليها حيناً والحروب الواسعة النطاق حيناً آخر، وغدت هذه المنطقة كلها بمثابة الخطوط الخلفية التي تجمع وتحمي قوات المغول في حال توغلهم إلى البلاد الشامية وتمدهم بالمؤونة والرجال والسلاح.[50]

3- دخول المغول إلى البلاد الشامية:

أ- سقوط حلب:

كانت مدينة حلب أول مدينة شامية واجهت العاصفة المغولية، فقد أصدر هولاكو أوامر لقواته بعبور نهر الفرات ومهاجمة بلاد الشام، فاستولى على حران والرها والجزيرة، وأول من عبر الفرات يمشوط ابن هولاكو، ووصل الجند إلى ضواحي حلب وكان يحكمها الملك المعظم تورنشاه نائباً عن الملك الناصر، فخاف الناس، وفي العشر الأخير من ذي الحجة سنة 657هـ/1259م سيروا فرقة من عسكرهم إلى المدينة، فخرج عسكر المسلمين، ولما شاهد ذلك المغول تراجعوا أمامهم مكراً وخديعة لاجتذابهم بعيداً عن البلد، فتبعهم عسكر حلب ساعة من النهار، ثم كرّ الجيش المغولي وخرج من مكامنه، فاندفع المسلمون أمامه إلى جهة البلد والعدو في أثرهم، فقتل من المسلمين جمع كثير من الجنود والعوام. وفي ثاني صفر دخل المغول حلب وبذلت السيوف في العالم وامتلأت الطرقات بالقتلى، وبقي القتل والأسر والحرق إلى يوم 14صفر وحاصروا القلعة وبها الملك المعظم، ووصل الخبر إلى دمشق فهرب الملك الناصر منها وزال ملكه[51].

ب-احتلال حمص:

أثناء مرور المغول من حمص باتجاه دمشق، تسلموا مدينة حمص بالأمان وتابعوا مسيرهم جنوباً[52]، وربما كان السبب في عدم دخول مدينة حمص هو اتفاق

---

[50] --الهمذاني، رشيد الدين فضل الله: جامع التواريخ في غزو المغول، ترجمة: محمد صادق نشأت، فؤاد عبد المعطي الصياد، القاهرة، الإدارة العامة للثقافة، 1960م ، ج2، ص99.

[51] – الذهبي: تاريخ الإسلام، ج14، ص694.

[52] – ابن العبري: تاريخ، ص279.

جرى بين هولاكو والملك الأشرف[53] صاحب حمص اللذان التقيا في حلب وأخذ الملك الأشرف وعداً بأن يكون نائب السلطنة في بلاد الشام، وقد يكون ترك مدينة حمص هو كرامة لذاك الملك، ولكن القائد المغولي هلاون بعد ذهابه باتجاه دمشق قد أمر الملك الأشرف بخراب قلعة حمص، فلم يخرب منه إلا قليلاً لأنها مدينته[54].

ج- تسليم دمشق:

بعد سقوط حلب أرسل هولاكو رسلاً من قبله إلى دمشق في 17صفر 658هـ/1260م وهم يحملون فرماناً منه بتأمين المدينة وأهلها مقابل التسليم، فأشار البعض بمداراة المغول والدخول في طاعة هولاكو لتجنب المدينة وأهلها الدمار والهلاك والخراب، ورفضه البعض الآخر ودعوا إلى جمع الناس والمناداة على الجهاد لصد العدو المغولي، وقد خرج الملك الناصر من دمشق ومعه جماعة من أتباعه إلى غزة، وترك دمشق في حال يرثى لها، ثم قصد جمع من أعيان دمشق هولاكو ومعهم التحف والهدايا ومفاتيح دمشق، وأظهروا الطاعة والخضوع له، وسلموا المدينة.

وهكذا دخل المغول دمشق بلا حصار ولا قتال، وولى عليها هولاكو جماعة من المغول وثلاثة من أهلها لمساعدته في تصريف الأمور بها[55]. وأما قلعة دمشق فقد استعصت على المغول ورفض من بداخلها التسليم، وفي هذا الوقت وصل

---

[53] – الملك الأشرف مظفر الدين موسى بن إبراهيم بن شيركوه، ولد في القاهرة سنة 578هـ/ 1180م، وتوفي سنة 659هـ/ 1261م، الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج22، ص122، رقم 84.

[54]– العيني، بدر الدين محمود بن أحمد ت.855هـ/1451م:عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، تحقيق: عبد الرزاق القرموط، ط1، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، 1989م ، ص59.

[55] – الغامدي، جهاد: جهاد المماليك ضد المغول والصليبيين، المكتبة الوقفية، د.ت، ص92؛ الهمذاني: جامع التواريخ،ج2،ص307.

الملك الأشرف صاحب حمص من عند هولاكو ومعه مرسوم بأنه نائب السلطنة والشام كلها، وتم حصار القلعة وضربها بالمنجنيقات، فطلب من بداخلها الأمان، ودخلها المغول ونهبوا ما كان فيها من الكنوز والدفائن، وأحرقوا مواضع كثيرة وهدموا عدد من أبراجها[56].

وبعد أن تم للمغول السيطرة على المدن الرئيسية في بلاد الشام، أصبح استيلاءهم على بقية المدن مسألة وقت، وذلك بسبب ما حل ببلاد الشام من الأهوال والفزع والخوف، وقد أوكلت مهمة ذلك للقائد المغولي كتبغا [57] بسبب عودة هولاكو إلى مراغة للمشاركة في انتخاب خان جديد، فتمت السيطرة على نابلس وبيت جبريل والصلت وبعلبك وبانياس ووصلوا إلى حدود غزة، ثم عادوا إلى دمشق بعد أن غنموا الكثير[58].

د- توقف انتشار المغول:

بعد سقوط بلاد الشام في أيدي المغول، هرب الناس باتجاه الأراضي المصرية، وكان ممن ترك دمشق ركن الدين بيبرس[59] الذي رفض فكرة التسليم،

---

[56] – الذهبي: دول الإسلام،ص97.

[57] – كتبغا المغلي قتله الأمير جمال الدين آقوش الشمسي في معركة عين جالوت سنة 658ه/1259م ، وكان عظيماً عند المغول لرأيه وشجاعته وعقله، وكان يميل إلى النصرانية، الذهبي: تاريخ الإسلام، ج14، ص819.

[58] – أبو الفداء، اسماعيل بن علي ت.732ه/1331م: المختصر في أخبار البشر، ط1، المطبعة الحسينية المصرية، القاهرة، د.ت، ج3، ص202؛ الغامدي: جهاد المماليك،ص98.

[59] – ركن الدين أبو الفتوح بيبرس بن عبد الله البندقداري الصالحي النجمي التركي، ولد سنة 620ه/ 1223م في صحراء القبجاق، وتوفي سنة 677ه/1277م، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج7، ص94.

وسير رسولاً من قبله إلى السلطان قطز[60] ليصالحه، ثم سافر إلى مصر وانضم إلى قيادته وأصبح من أكبر أعوانه، وساهموا للتخطيط لمعركة عين جالوت وقيادة الجيوش الإسلامية لتبديد أحلام المغول، وكان لقيادة المماليك في مصر رؤية أنهم سيكونون التاليين في الهجوم المغولي، لذلك بادروا إلى الفعل وتركوا ردة الفعل، وقد ساعدهم في ذلك عدة أمور منها: مقومات حركة الجهاد التي كانت متوفرة في مصر من قيادة واعية حكيمة، وتجمع للعلماء والفقهاء الذين كانوا يدعون للجهاد، ووجود طاقة بشرية في مصر مع استيعابها فلول الهاربين من المغول الذين يودون الانتقام وردّ الكرامة[61].

هـ– وقعة عين جالوت658هـ/1260م:

اتفق الملك المظفر قطز مع الأمراء على تجهيز العساكر وصمموا على لقاء العدو، وجمعوا الفرسان والرجالة والعربان، وخرجوا من القاهرة وكان المغول في أرض البقاع بقيادة كتبغا، فكان الملتقى في عين جالوت في مرج بني عامر وذلك في الخامس والعشرين من رمضان سنة 658هـ/ أيلول1260م حيث حمل السلطان الملك المظفر بنفسه وحملوا حملة صادقة، فكسروهم أشد كسرة، وقتل كتبغا في المعركة وقتل أكثر المغول، وجهزت الخيل وراء من فرّ منهم وكان المقدم عليهم ركن الدين بيبرس البندقداري، فتبع المنهزمين وأتى عليهم قتلاً وأسراً حتى استأصلهم، فلم يفلت منهم أحد[62]، وجاءت نجدة من المغول من عند هلاوون مدداً لكتبغا، فلما وصلت هذه النجدة إلى حمص صادفت المغول المنهزمين على أسوأ حال والخيول تجول في طلبهم، وكانت عدتهم ألفين، فلم يبق لهم أثر ولاعين، وكان

---

60 – السلطان الملك المظفر سيف الدين قطز بن عبد الله المعزي الثالث من ملوك الترك بالديار المصرية، تسلطن سنة 657هـ/ 1258م، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج7، ص72.

61 – الغامدي: جهاد المماليك، ص95.

62 – الغامدي: جهاد المماليك، ص122.

في صحبة المغول الملك الأشرف موسى صاحب حمص، ففارقهم وطلب الأمان من السلطان الملك المظفر، فأمنه وأكرمه وأقر ما بيده وهي حمص ومضافاتها[63].

- أسباب الانتصار في معركة عين جالوت:

*- وجود قيادة حكيمة وشجاعة مؤمنة بقتال المغول.

*-وضع الرجل المناسب في المكان المناسب، فتم اختيار قادة الجيش الكفء ومنهم الظاهر بيبرس البندقداري والذي يعد رئيس أركان الجيش آنذاك، وقادة آخرون.

*- وجود جيش قوي، وكان الجيش المملوكي في ذلك الوقت يعد من أقوى الجيوش العربية الإسلامية، وأصبحت الدولة تحتفظ بجيش عقائدي منظم ومدرب أحسن تدريب.

*-الاعتماد على الروح المعنوية العالية، والتذكير بالجهاد والحث عليه.

*- التخطيط والتحضير والإعداد الجيد للحرب، وتوزيع القوات في مسرح العمليات بشكل مناسب للقتال ضد المغول.

*- وجود صراعات داخل البيت المغولي بعد وفاة منكو خان أخو هولاكو، وتنازع أخويه قوبيلاي واريق بوقا على ولاية العرش، وعودة هولاكو إلى مدينة مراغة ليكون قريباً من مجرى الأحداث.

*- المعلومات الاستخباراتية الدقيقة عن الجيش المغولي والتي أمدهم بها الملك الأشرف موسى صاحب حمص[64].

*- قام قطز بنشر قواته الرئيسية وإخفائها وتمويهها في التلال المجاورة القريبة ولم يعرض للعدو إلا المقدمة التي قادها بيبرس، ووقع كتبغا في الفخ إذ

---

63 - العيني: عقد الجمان، ص61.

64 - الحمداني، فاطمة: الملك الصالح أيوب وانجازاته السياسية والعسكرية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، بغداد، رسالة ماجستر، 1995م ص151؛ الصياد، عبد المعطي: المغول في التاريخ، دار النهضة العربية، بيروت، 1980م، ص198.

وضع جميع قواته في ساحة القتال، وتظاهر بيبرس بالتراجع بعد معركة ضارية، وعند مطاردته، تم تطويق الجيش المغولي وقتل قائده.

وكان من نتائج وأثار المعركة هروب نواب المغول من دمشق، وقتل الخونة والعملاء المتعاونين معهم، وانحسار المد المغولي، وإعادة الوحدة بين مصر والشام[65].

المعارك التي جرت مع المغول حول حمص:

1- حمص زمن العصر المملوكي:

احتفظ المماليك بالتقسيمات الإدارية التي ورثوها في بلاد الشام عن الأيوبيين، وصارت بلاد الشام تضم عدة نيابات وممالك مرتبطة بسلاطين المماليك في القاهرة[66]، ومن هذه النيابات دمشق وحلب وطرابلس وحماة وصفد والكرك[67]، وكانت دمشق تضم أربع مناطق إدارية، وتقع حمص ضمن المنطقة الرابعة والتي تشمل أيضاً مصياف وقارة وسلمية وتدمر وبلاد الجزيرة الواقعة بين الفرات ودجلة[68]. وكانت حمص من أصغر النيابات وأخرها رتبة ومن أعمالها شمسين

---

[65] – عاشور، فايد: الجهاد الإسلامي ضد الصليبيين والمغول في العصر الأيوبي، دار الاعتصام، القاهرة، 2009م، ص123؛ جبران، نعمان: دراسات في تاريخ الأيوبيين والمماليك، دروب ثقافية للنشر والتوزيع، 2011م، ص278.

[66] – القلقشندي، أحمد بن طولون ت.821هـ/1418م: صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، 1987م،ج4، ص114؛ زعرور، إبراهيم: الحياة الاجتماعية في بلاد الشام في العصرين الأيوبي والمملوكي، رسالة دكتوراه، جامعة دمشق، دمشق، 1990م، ص65.

[67] – القلقشندي: صبح الأعشى، ج4، ص441؛ حسن، علي: دراسات في تاريخ المماليك البحرية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1944م، ص218.

[68] – العمري، أحمد بن فضل ت.749هـ/1348م: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تحقيق: دوريتا كرافولكسي، ط1، المركز الإسلامي للبحوث، بيروت،1986م، ص180.

وشميمش[69] وسلمية وأربعة أعمال أخرى[70]، وحددها ابن العمري مابين قرية القصب قبلي جوسيه ونهر العاصي غرباً إلى السماوة[71] والفرات شرقاً ومن قارة جنوباً إلى الرستن شمالاً[72].

وجرت عدة وقائع بين الجيش المغولي والجيش الإسلامي حول مدينة حمص وكان أبرزها:

أ- وقعة حمص سنة 659هـ/1260م :

بعد هزيمة المغول في معركة عين جالوت وتفرقهم في البلاد، اجتمع عدد منهم والذين

كانوا بحرّان والجزيرة، وبسبب قحط أصابت تلك المنطقة، قاموا بالإغارة على حلب، ثم توجهوا إلى حمص عندما علموا بقتل الملك المظفر وأن هناك اختلافاً بين عساكره، وعند وصولهم إلى شمال مدينة حمص بالقرب من الرستن انضم إليهم فرقة من الصليبيين أرسلتها الاسبتارية[73] لتقاتل معهم. وكان هناك جيش المسلمين بانتظارهم بالقرب من المنطقة الواقعة قرب تربة خالد بن الوليد، بعد أن علموا بقدومهم، وهو مؤلف من عساكر حلب المنهزمين بقيادة الأمير حسام الدين

---

[69] – تل عال بنى فوقه شيركوه قلعة سميت باسم هذا التل، أبو الفداء: المختصر، ج3، ص145.

[70] – شيخ الربوة، محمد بن أبي طالب ت.727هـ/1326م: نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، مكتبة المثنى، العراق، د.ت، ص202.

[71] – السماوة: بادية قفراء بين الكوفة والشام، الحموي: معجم البلدان، ج3، ص245.

[72] – ابن فضل العمري: مسالك الأبصار، ص256.

[73] – فرقة عسكرية صليبية أو جماعة دينية محاربة ساهمت بشكل بارز في الحروب الصليبية أقامت بجزيرة رودس،(أو هم فرسان القديس يوحنا فرسان مالطة، هكذا عرفهم العرب وقت الحروب الصليبية)، الزاوي، الطاهر: تاريخ الفتح العربي في ليبيا، دار المعارف، مصر، 1954م، ص35.

جوكندار[74]، والملك المنصور صاحب حماة مع عسكره، واللذان كان يودان متابعة الهروب إلى دمشق؛ ولكن ملك حمص الأشرف لامهم وأقنعهم بالبقاء والمقاومة مع قواته[75]، وانضم إليهم أمير بني ربيعة زامل بن علي في عدة من العربان[76]، وقد بلغوا حوالي 1400مقاتل، بينما كان جيش المغول يقدر ب6000مقاتل.

ما هي الخطط العسكرية المتبعة؟

أراد المغول الاستفادة من التفوق العددي، ووضع قائدهم بيدرا خطة تقوم على الاختراق إذ قسم قواته إلى ست فرق، وكل فرقة تتألف من عشرة آلاف، واصطفت خلف بعضها البعض لتتمكن من اقتحام عمق قوات المسلمين، وتقسيمها ومن ثم تطويقهم، بينما اعتمد المسلمون الخطة الدفاعية لامتصاص التفوق العددي، وفي حال النجاح يتم الانتقال إلى الهجوم المعاكس، فكان جيش حمص في القلب وجيش حماة على الميمنة وجيش حلب على الميسرة.

اشتبك الجيشان وذلك يوم الجمعة 5محرم سنة 659هـ/1260م، وقاتل المسلمون بعزيمة صادقة، وصمدوا، واستطاع جيش حمص الثبات أمام المد المغولي، ومن ثم بدأوا بإلحاق الهزائم بهم بعد أن قامت المجنبتين الحموية والحلبية بضرب القوات المتقدمة، فاستطاعوا النصر عليهم وقتل معظمهم ومن بينهم أمراء ومقدمي المغول، وهرب من بقي منهم بقيادة بيدرا بأسوأ حال[77].

وسميت هذه الوقعة(القيقان) وذلك لأنه شهد أكثر من واحد أن قيقان عظيمة قد نزلت على المغول تضرب في وجوههم، وقد أكد ذلك بدر الدين محمد بن عز

---

[74] – حسام الدين لاجين الجوكندار العزيزي، كان بإمرة السلطان الظاهر بيبرس، الطباخ، محمد راغب: أعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء، تحقيق: محمد كمال، ط2، دار القلم العربي، 1988م، ص242.

[75] – الحايك: العلاقات الدولية في عصر الحروب الصليبية، ج2، ص96.

[76] – المقريزي: السلوك، ج2، ص442.

[77] – اليونيني: ذيل مرآة الزمان، ج1، ص434.

الدين حسن القيمري المعروف بصدقة:" كنت مع صاحب حماة، فرأيت بعيني طيوراً بيضاء تضرب في وجوه التتار"[78]. ولقد شدد العيني على أهمية هذه المعركة عسكرياً بقوله:" كانت أعظم من كسرة عين جالوت بكثير، لكثرة التتار وقلة المسلمين"[79].

ما هي نتائج هذه المعركة؟

انكسار المغول كسرة عظيمة، وقتل منهم فوق الألف شخص، ولم يقتل من المسلمين سوى رجل واحد؟ رغم المبالغة في قلة هذا الرقم، فإنها تشير إلى قلة شهداء المسلمين، ويرجع ذلك إلى دقة التنظيم والخطة العسكرية المحكمة من قبل بيبرس، ومن شدة فرحتهم أخذوا رؤوس بعض القتلى ووضعوها في صناديق وجاؤوا بها إلى دمشق، وكان الدمشقيون يتعجبون من كبر رؤوسهم، وعاد المنهزمون من المغول إلى حلب، فعزلوا الغرباء عن سكان حلب الأصليين، ثم ذهبوا بهم إلى ناحية بابلا وقتلوهم انتقاماً لخسارتهم في حمص[80]، فجهز الظاهر بيبرس جيشاً للذهاب إلى حلب وطردهم عنها، ولما وصل إلى غزة أرسل الصليبيون الموجودون في عكا يخبرونهم بذلك، فرحلوا عن حلب مسرعين بعد حصار دام أربعة أشهر، وتمكن بعدها بيبرس من توطيد حكمه في دمشق وما حولها، وتقديراً للجهود الحمصية والحموية في هزيمة المغول تم الاتفاق على إبقاء الأشرف أميراً على حمص، ثم أضيفت إلى أملاك السلطنة[81]، أما أمير حماة وأسرته فظلوا على

---

78 – اليونيني: ذيل مرآة الزمان، ج1، ص435؛ النويري، أحمد بن عبد الوهاب ت.732ه/1331م: نهاية الإرب في فنون الأدب، القاهرة، 1976م، ج2، ص41.

79 – عقد الجمان، ج1، ص68.

80 – الذهبي: تاريخ الإسلام، ج14، ص491؛ العيني: عقد الجمان، ص67.

81 – توفي الملك الأشرف سنة 662ه/1263م، فبعث السلطان بيبرس إلى الأمير عز الدين بيليك العلائي، فتسلمها وأدى يمين الطاعة على وجوه الناس، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج6، ص300.

حكمهم نتيجة العلاقات الودية مع السلطنة المملوكية وزاد عليهما بلاد الإسماعيلية(قلعة مصياف)[82].

ومن خلال هذه المعركة يمكن الاستنتاج ما يلي:

إن الروح المعنوية ردت للجيوش العربية الإسلامية بعد معركة عين جالوت، وأن وهم أسطورة كون جيش المغول لا يقهر سقطت، وبسبب حنكة ملك حمص واتخاذه القرار الصائب بإقناع ملكي حلب وحماة بعدم الهروب إلى دمشق، بل دعاهم إلى مقاومة المحتل واستجابوا له، وباتخاذ مسرح العمليات الحربية شمال حمص مباشرة كان عملاً يدل على حرفية، فكانت مؤخرة القوات المسلحة محمية من جهة حمص، ولو احتاجوا أي مساعدة طبية أو طعام أو ما شابه ذلك من شؤون إدارية فسيستطيعون الحصول عليه فوراً من المدينة، وذكرت بعض المصادر أن الضباب كان يلف معسكر المغول مما حجب الرؤية عنهم، إضافة إلى القتال قرب مقام خالد بن الوليد يعطي دفعاً معنوياً للمقاتلين المجاهدين، ولقد صدق العلي القدير حين قال:" وما النصر إلا من عند الله"[83].

ب- معركة حمص في سنة680هـ/1281م :

جهز المغول أنفسهم للهجوم على البلاد الشمالية انتقاماً لمعركة عين جالوت، فشكلوا جيشاً قوامه أكثر من ثمانين ألفاً، وساندهم ثلاثون ألف مقاتل أجنبي غالبيتهم من جورجيا بقيادة ديمتوربوس الثاني والأرمن بقيادة ليو الثالث.

علم السلطان بذلك عن طريق أسير مغولي، فطلب التعبئة العامة، وتم استدعاء الجيوش من مصر وغيرها، وجاءته التركمان والأعراب وغيرهم، وتجمعوا

[82] – العريني، السيد الباز: المغول، دار النهضة العربية، بيروت، 1967م، ص264.

[83] – القرآن الكريم: الأنفال، الآية 10.

في دمشق، فكثرت العساكر فيها، فانتاب المسلمون حالة من القلق، وكان سنقر الأشقر[84] متواجد في دمشق[85].

عندما عبر المغول نهر الفرات، نازلوا الرحبة بثلاثة آلاف من جنودهم وحاصروها على رأس زعيمهم أباقا خان، وعبر الباقيين عينتاب ووصلوا إلى مشارف حلب؛ وكان معظم رجالها وشبابها قد غادروها خوفاً ولم يبق فيها إلا كبار السن ومن استطاع أن يختبأ، فدخلها المغول وقتلوا فيها مقتلة، وتابعوا سيرهم.

وقد قام السلطان في هذه الظروف بمصالحة سنقر في حزيران سنة680هـ/ 1281م والذي كان ملاحقاً من قبله ومتواجد بالقرب من قلعة صهيون، وأقطعه أنطاكية وأفامية[86]. وعقد هدنة مع الإمارات الصليبية ليأمن جانبهم، كما فعل مع بوهمند أمير طرابلس، وكان الظاهر بيبرس أثناء حكمه قد عقد هدنة مع عكا لمدة عشر سنوات، فامتنعوا عن الانحياز لأي طرف، إلا أن الجنود الإسبتارية بالمرقب عدوا أنفسهم غير مشمولين في الهدنة، فانحاز قسم منهم إلى ملك أرمينية.

أحس المسلمون بقرب اللقاء، وتجمعوا في المساجد بدمشق شيوخاً وأطفال يستغيثون إلى الله، وخرج خطيب المسجد الكبير بالمصحف العثماني إلى المصلى ومعه خلائق كثيرة يتضرعون ويبتهلون أن تزال هذه الغمة عنهم. خرج السلطان ومعه الأمراء والجيوش باتجاه الشمال، والتقى الجمعان في منطقة شمالي حمص ما بين مشهد خالد بن الوليد إلى الرستن. اصطف الجيشان للقتال، وكان يقدر عدد المغول ب50ألف مقاتل وقيل كانوا يزيدون على 100ألف مقاتل، وتوضعوا على

---

[84] – شمس الدين سنقر الأشقر بن عبد الله العلائي الصالحي، أمير مملوكي عين نائب السلطنة على الشام في عهد السلطان العادل سلامش سنة 680هـ/1281م، توفي سنة691هـ/ 1292م، ابن كثير: البداية والنهاية، ج13، ص338.

[85] – ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر ت.774هـ/ 1346م: البداية والنهاية، دار الفكر، بيروت، 1986م، ج13، ص343.

[86] – العريني: المغول، ص299.

الشكل التالي: كان على الميمنة قوات الكرج والإسبتارية ومعهم ليو الثالث، وعلى الميمنة أمراء المغول وفي القلب بقيادة منكومتر بن هولاكو.

وأما جموع المسلمين فكان يقدر ب30ألف مقاتل ورتب على النحو التالي: السلطان والأمراء و حوالي مئتي مملوك في القلب على تلة صغيرة- ربما تكون على تل النصر حالياً لموقعها الاستراتيجي- يراقبون سير المعركة وأمامهم أربعة آلاف شركسي برجي ووحدات من الممالك، وفي طرف الميمنة صاحب حماة الملك المنصور محمد والعرب بقيادة أحمد بن حجي من بني ربيعة والأمير شرف الدين يحي بن مهنا من قبيلة بني ربيعة ومجموعهم أربعة آلاف فارس، وعلى الميسرة توضع التركمان بقيادة سنقر الأشقر، وذلك يوم14 رجب680هـ/1281م[87].

وفي صباح اليوم التالي التقى الجمعان، وكانت معارك طاحنة بدا فيها تفوق المغول في بادىء الأمر واضطربت ميمنة المسلمين، ثم حمل المغول على الميسرة فكسروها وهزموها مع طرق القلب وهربوا باتجاه أسوار حمص ووجدوا أبوابها مغلقة، وثبت السلطان مع من معه، واستمر القتال من الفجر إلى المغيب، وسار قسم من المغول وراء ميسرة المسلمين حتى بحيرة حمص وقتلوا عدد من المتطوعين والغلمان والعامة، ولكن مماليك سنقر استمروا بالهروب بلا توقف باتجاه دمشق وهم ينشرون أنباء هزيمة المسلمين، مما خلق جواً من الذعر الرهيب في مؤخرة الجيش وفي السكان المحليين، وأما الأمراء الكبار فإنهم لما رأوا ثبات السلطان حملوا عدة حملات متتالية على المغول، وفي أثناء ذلك سار الأمير أزدمير الحاج أحد قادة المماليك العسكريين الميدانيين على حصانه وبرفقته عدد من المقاتلين باتجاه قائد المغول منكوتمر، وهاجمه وضربه برمحه وأسقطه عن حصانه، فجرح وفقد وعيه من شدة الضربة فاعتقد من حوله أنه قتل، فتبع ذلك اضطراب رهيب وقتل معظم حراسه الشخصيين، وقد خلق سقوط قائد المغول الذعر في صفوفهم، فاستغل

[87] – الهمذاني: جامع التواريخ، ص83.

المماليك هذه اللحظة وهاجموا بضراوة، وبانت ملامح النصر للمسلمين، فإذا بالأمير عيسى بن مهنا قد جاء بشكل عرضي واقتحم صفوف المغول، وشكل خرقاً واضحاً في صفوفهم، وقسموا إلى مجموعات متفرقة، وقتلوا منهم مقتلة كبيرة، فلم يعودوا يحتملون، فتمت هزيمتهم وهربهم، ولحق بهم المسلمون وهم يقتلون منهم مقتلة هائلة، وبقي السلطان مع عدد من الجنود والأمراء الخاصة به، وعندما رجعت ميمنة المغول التي كسرت ميسرة المسلمين ومعهم غنائم كثيرة غنموها من ضواحي حمص، مروا بالسلطان وحوله حوالي ألف مقاتل، فلما جاوزوه، تبعهم وقاتلوهم، فهربوا لا يلون على شيء، وتم النصر بعد العصر، وانهزم المغول عن أخرهم قبل الغروب وافترقوا، فذهبت فرقة إلى السلمية والبرية، وأخرى إلى ناحية حلب، وعاد السلطان إلى منزلته، وفي صباح اليوم التالي ضربت البشائر وزينت دمشق عندما علموا بنصر المسلمين، ولما حلّ المساء وصل المنهزمون من ميسرة المسلمين من جنود وأمراء؛ ولم يعلموا تطورات المعركة، فوقع القلق بين العامة لتضارب المعلومات ما بين أخبار عن نصر وما بين رؤية جنود منهزمين، فشرع خلق من الناس في الهروب، إذ كان تجارب مع أولئك المغول الذين كانوا يبذلون السيف دون تردد، وعاش السكان على أصوات بكاء الناس والأطفال، والدعاء لله تعالى، ثم أتاهم خبر النصر وكسرة المغول في صلاة الفجر، وجاء التأكيد أخر يؤكد المعنى قبل الظهر، فتبدلت النفوس وتابعوا تزيين دمشق، وكانت حصيلة المعركة استشهاد نحو مائتي فارس من المسلمين. وبعد أسبوع دخل السلطان دمشق وبين يديه عدد من أسرى المغول، وبعد أسبوع آخر قدم الأمير المملوكي بدر الدين الأيدمري الذي تبع قسم من المغول المنهزمين إلى الفرات، وقد قتل عدد منهم وهلك منهم خلق أثناء عبورهم نهر الفرات خائفين منهزمين، واختبأت بقيتهم بين أدغال القصب فأشعل المماليك في تلك الأدغال فمات عدد منهم جراء النار والدخان[88]، وعاد من

[88] – ناتخو، قادر: التاريخ الشركسي، ترجمة: محمد أزروقة، دار طويق للنشر والتوزيع،

بقي منهم إلى أماكن تواجدهم في أسوأ حال[89]، وعندما علم أباقا[90] الذي كان يحاصر الرحبة هزيمة أخيه بحمص فرّ هارباً بجنده، وقد صب جام غضبه عليه بعد أن علم بعدد القتلى وعدد الأسرى والذي بلغ حوالي 500 أسيراً؟_ و هذه أول مرة يؤسر هذا العدد– وهروب بعض القادة في الحرب؟ وهذا مخالف لقانون الياسق الذي يعملون به، فقام بقتلهم[91]، وقرر أباقا أن يهاجم بلاد الشام ومصر في العام القادم، ولكنه مات بعد أشهر قليلة وتولى أخيه أحمد مقاليد الحكم وأشهر إسلامه وهدأت الأمور قليلاً مع البلاد الإسلامية.

أسباب انتصار المسلمين:

إن النصر دائماً من عند الله سبحانه ولكن كان هناك بعض العوامل المساعدة لذلك فما هي؟

– تغيرت المعنويات في البلاد العربية الإسلامية بصورة كلية، وأصبح ينظر للمغول بأنهم أقوام يمكن مقاومتهم، لا بل والانتصار عليهم.

– الميزة العسكرية المكتسبة للجيش المغولي نتيجة للقتال المتكرر مع المغول ومعرفة ظروف قتالهم ووضع الخطط المناسبة.

– ظهور أسماء لأبطال حقيقيون في المعارك، وكانوا يخططون ويثبتون ويقاتلون ويهجمون وينتصرون بكل جرأة واقتدار وضراوة.

–كان للمصالحة الوطنية بين المسلمين وعقد الهدن مع الصليبيين الأثر الايجابي في المعركة.

الرياض، 2004م، ص188.

[89] – االذهبي: تاريخ الإسلام، ج 14، ص691.

[90] – أباقا خان أو أباغا خان بن هولاكو ثاني ملوك إلخانات فارس المغول، ولد سنة631هـ/1234م، وتوفي سنة680هـ/ 1282م، العريني: المغول، ص124.

[91] – الأمين، حسن: غارات على بلاد الشام، ط1،دار قتيبة، بيروت،2000م، ص116.

–وجود الخلافات بين المغول أنفسهم وتقسمهم إلى عدة دول، وكان للدولة الايلخانية (مكانها في إيران حالياً) والتي تهاجم الدولة الإسلامية، علاقات سيئة وحروب مع بقية دول المغول وخاصة الدولة المغولية الجلغاطية والقبيلة الذهبية، والذي أدى إلى تبعثر قواتهم على جبهات عدة.

– اختيار أرض المعركة المناسب شمال حمص بالقرب من مشهد خالد بن الوليد والذي يعطي دفعاً معنوياً جهادياً للمقاتلين المسلمين.

– وجود قيادة إسلامية ثابتة ومتماسكة رغم تبدل المواقف الحربية، ولم تضعف أو تهتز، عكس القيادة المغولية التي بجرح قائدها انهارت معنوياتهم وهربوا وانكسروا.

– الأثر الإيجابي لهجوم البدو بقيادة الأمير مهنا والذي شكل إمداداً عسكرياً جاء في اللحظة المناسبة والحاسمة.

ج– وقعة حمص سنة 699هـ/1299م :

بعد اعتلاء الخان محمود قازان العرش المغولي سنة 693هـ/1295م، تغير المشهد كثيراً، على الرغم من اعتناقه الإسلام وتبعه بذلك معظم جيشه وقادته. فلقد تبنى سياسة توسعية عدائية اتجاه البلاد الإسلامية في بلاد الشام، وراسل بابا روما لبناء تحالف عسكري ضدهم، ولكنه اضطر إلى خوض حروبه الضروس معهم بمفرده، فبعد سنوات خمس لاحت في الأفق بوادر مواجهة عسكرية مع المماليك، وذلك بعد انشقاق أحد قادة المغول وهو سلامش بن أباغو بن هولاكو على حكم قازان؛ وتحت قيادته عشر آلاف مقاتل، كانوا قد أرسلوا إلى شرق الأناضول لغزوها، فأرسل إليه قازان جيشاً قوامه 35 ألف مقاتل، واستطاع قهره، ففر سلامش مهزوماً إلى دمشق حيث أحسن استقباله نائب دمشق، ثم بعثه إلى القاهرة، حيث

استقبله السلطان الناصر محمد بن قلاوون[92]، وأرسل معه مقاتلين لدعمه وعاد إلى دمشق ثانية.

وبعد أسابيع قليلة دخل السلطان الملك الناصر دمشق في 8ربيع الأول سنة 699هـ/ 1299م، وأقام في القلعة تسعة أيام، ثم خرج ليلاقي المغول الذين عبروا الفرات في ستين ألف مقاتل وقيل مائة ألف وعلى رأسهم ملكهم قازان، وكثر الدعاء والصلاة في الجوامع وفعلت اليهود والنصارى ذلك وحملوا التوراة والانجيل.

وصل جيش المسلمين إلى حمص يوم الثلاثاء 24 ربيع الأول سنة 699هـ/ 1299م وتهيئوا للمصاف وبقوا على خيولهم، ثلاثة أيام، فلم يجيئهم أحد، وبلغهم أن المغول قرب السلمية وأنهم يريدون الرجوع خوفاً من عدد الجيش المملوكي – وكان ذلك خديعة_ ، فركب السلطان مع جيشه وخرجوا من حمص إلى وادي الخزندار شمالي شرق حمص على بعد ثلاثة فراسخ منها، فرأوا الجيش المغولي بكامل استعداده وأنه متهيأ للمعركة، وكان قد تناقصت امدادات المماليك من المؤن، والتقى الجيشان وبدأ القتال ما بين طعن وضرب حتى ما بعد العصر، ولاحت إمارات النصر للمسلمين، ولكن جيش المسلمين كان غير متكامل وكانوا بضع وعشرون ألفاً، وأما المغول فكانوا ثلاثة أضعافهم، وانكسرت ميمنة المسلمين بعد أن جاءها ما لا قبل لهم به من المغول، ثم بدء التقهقر، ووصلت قوات المغول إلى قلب الجيش الإسلامي، وأخذت الأمراء السلطان، وولوا، وحموا ظهورهم، ووصف ذلك المشهد ابن تغري بردي بقوله:" وتركوا جميع الأثقال ملقاة، وبقيت العدد والسلاح والغنائم والأثقال، وملأت تلك الأراضي، حتى تركت الرماح في الطرق

[92] – ناصر الدين محمد بن قلاوون، الملقب أبو الفتح، ولد سنة 685هـ/1285م، وتوفي سنة 741هـ/ 1341م، المقريزي، أحمد بن علي ت.845هـ/1441م: السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق: محمد مصطفى زيادة، ط2، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، مصر، 1956م، ص442.

كأنها القصب لا ينظر إليها أحد، ورمى الجند خوذهم عن رؤوسهم وجواشنهم[93] وسلاحهم تخفيفاً عن الخيل لتنجيهم بأنفسهم، وقصد الجميع دمشق"[94].

ومروا على حمص، وكانت أبوابها مغلقة وأهلها على السور يبتهلون إلى الله بالدعاء والتضرع، وينادون:" يا مسلمين الرجعة الرجعة لا تسلمونا إلى العدو"، فتباكوا وبكا السلطان الناصر[95]، وساروا على درب بعلبك إلى طريق البقاع، وتبعهم مرور خلق من الجيش منكسرين، ودخل المغول حمص ونهبوا ما فيها من خزائن السلطان والمؤن والسلاح وأثقال العسكر[96]، وفي يوم الخميس وصل قسم من المجروحين إلى قارة وظنوا أن المصاف لا زال متماسك ولم يدروا ما تم بعدهم، ثم جاء الخبر إلى دمشق أن الميمنة انكسرت، ثم قيل أن الجيش كله انكسر، وتضاربت الأنباء الأتية من حمص وحدثت بلبلة بين المواطنين، وشرع الناس في الهرب إلى مصر، وبلغ الناس يوم السبت أنه قتل من المغول خمسة آلاف وقيل عشرة آلاف، ولم يقتل من المسلمين إلا دون المائتين، وأن الهزيمة حلت بالمغول. لكن عند ظهيرة يوم السبت وقع الصراخ والصياح وقيل دخل المغول، وازدحم الناس في باب الفرج حتى مات منهم نحو العشرة، وأصبح الناس يوم الأحد ثاني ربيع الآخر في حيرة، فمنهم الهارب بأولاده إلى مصر ومنهم الطامع في عدل المغول ظانين خيراً في ملكهم المسلم، ثم اجتمع كبار البلد، وخرجوا إلى ملك المغول بهدايا وطلب الأمان، والتقوه في النبك، ثم عادوا ومعهم فرمان من الملك قازان بالأمان.

---

93 – الجوشن: الدرع، ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ت. 711ه/1311م: لسان العرب، دار صادر، ط3، بيروت، 1993م، ج2، ص396.

94 – ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج8، ص198.

95 – يحي، صالح: تاريخ بيروت و أخبار الأمراء البحتريين من بني الغرب، تحقيق: لويس شيخو، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، 1898م، ص137.

96 – ابن أبي الفضائل، المفضل ت. بعد 759ه/1358م: النهج السديد والدر الفريد فيما بعد تاريخ ابن العميد، تحقيق: أي بلو شيه، ط1، باريس، 1911م، ص636.

وفي العاشر من ربيع الآخر اقترب الجيش من الغوطة ووقع العبث والفساد وقتلوا جماعة، ونهبوا بقايا من في الضياع، وفي يوم الخميس ثالث عشر من الشهر دخل المغول بيوت الناس يفتشون على الخيل ويأخذون منها ويخطفون ويؤذون، ثم وصلوا إلى الصالحية وداريا ولم يزالوا يتدرجون في نهب الخيل وسبي أهله قليلاً قليلا، فرقة تذهب وفرقة تأتي، ونبشوا أطمار القماش والأثاث وعذبوا وعاقبوا، وسارت فرقة إلى المزة، فأوطؤهم خوفاً ونهبوا[97]، ثم عاد قازان بغنائمه إلى عاصمة ملكه تبريز، وترك خلفه واليا على دمشق من جماعته، وبعد أسابيع قليلة من رحيله نجح نائب قلعة دمشق المملوكي أرجواش المنصوري[98] في هزيمة الحامية المغولية واستعادة المدينة.

-أسباب هزيمة المسلمين في معركة حمص:

– التفوق العددي لقوات المغول ، وكان على السلطان أن يحشد أعداد أكبر من المقاتلين وخاصة أن المعركة في أراضي حكمه.

– التحاق عدد من الأمراء المنشقين عن السلطان الناصر محمد بن قلاوون قبل حدوث المعركة بجيش المغول بقيادة قازان.

– أخطأ السلطان حين ترك التمركز حول حمص وذهابه إلى وادي خزندار، فكان الأفضل البقاء حول المدينة وتنظيم جيشه للدفاع ويكون محمي الظهر من حمص، ويستطيع تلقي الامدادات والمؤن.

– عند ذهاب الجيش الإسلامي إلى وادي خزندار أصبح جيشاً في حال الهجوم، والجيش المغولي المتمركز هناك في حال الدفاع، والمتعارف عسكرياً أن

---

[97] – الذهبي: تاريخ الإسلام، ج 15، ص218.

[98] – سنجر أرجواش المنصوري نائب قلعة دمشق من أيام المنصور ثم نكب في أيام الأشرف ثم أعيد إليها ت.701هـ/1302م، العسقلاني: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الهند، ط2، 1972م، ج1، ص5.

الجيش في حال الهجوم يحتاج إلى ثلاثة أضعاف الجيش المدافع، وهنا حصل العكس.

– انهيار معنويات الجيش الإسلامي عن أول بوادر الهزيمة، فتركوا أسلحتهم وولوا هاربين، وكانوا يستطيعون بدلاً عن ذلك نصب الكمائن أثناء الانسحاب.

– كان الأولى بأهل حمص فتح الأبواب للجيش المملوكي المنسحب ثم اغلاقها، وبذلك يتم حماية الجنود وتقوية دفاعات المدينة.

د– وقعة المرج سنة 702هـ/ 1303م:

عاد المغول بقيادة قازان لمهاجمة بلاد الشام سنة 702هـ/1303م، فوصلوا إلى حمص، ودخلوها بعد فرار أهلها، وعاثوا فيها فساداً، ثم سارت فرقة من المغول إلى القريتين من أعمال حمص وقوامها عشرة آلاف مقاتل، وتمكنت من هزيمة أهل البلدة وأسر ستة آلاف من أولادهم ونسائهم وساقوهم معهم، إلا أن قسماً من القوات المملوكية المجتمعة في حلب تمكنت من مهاجمة القوة المغولية، بعد أن انضم إليهم عساكر السلطان الآتية من مصر والشام، بالإضافة إلى عساكر نيابة حمص، وتم النصر للمسلمين وهزيمة المغول[99].

هـ– عودة المغول إلى حمص سنة 712هـ/ 1212م:

عاود المغول مهاجمة بلاد الشام من جديد في سنة 712هـ/1212م، واجتاحوا نيابة حمص، فهرب أهلها وتركوها وعاشوا في اضطراب شديد، وعادوا إلى حياتهم بعد رحيل المغول عن حمص والقريتين لقلة العلف اللازم لدوابهم ولموت الكثير منهم[100].

---

[99] – ابن إياس، محمد بن أحمد ت930هـ/1524م: بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق: محمد مصطفى، ط2، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1984م، ج1، ص413.

[100] – ابن أيبك الدواداري، عبد الله ت.736هـ/1335م: كنز الدرر وجامع الغرر، تحقيق: هانس روبرت وديمر، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1960م، ج9، ص258.

و- حملات تيمورلنك[101] على حمص:

عاد المغول لتهديد بلاد الشام في آواخر القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي، وكانت عساكر حمص من بين العساكر المتمركزة في حلب للتصدي للغزو وذلك في سنة 796هـ/1394م. وبعد سبع سنوات عاد التهديد ثانية وكانت أيضاً عساكر نيابة حمص في حلب للمشاركة في الدفاع عن أراضي السلطنة، إلا أن المغول بقيادة تيمورلنك استطاعوا الاستيلاء على حلب وعاثوا فيها قتلاً ونهباً وخراباً[102]، ثم أرسل تيمورلنك ولديه مهران ومردين إلى حماة، فأحسن الأهلون استقبالهما وقدموا إليهما الهدايا، فأقاما عليها نائباً من قبل أبيهما، ورحلا عنها، وكان صاحبها الملك المنصور الثاني[103] قد حضر إلى برزة ليتجهز مع الملك الناصر. ولكن الأهلون فتكوا بالنائب، فعاد المغول إليهما ونفثا حقدهما فقتلا وأحرقا أكثر البيوت[104]. وتابعا باتجاه حمص، وكان صاحبها مع عساكره خارجها، فقام رجل من أعيانها وعلمائها يسمى عمرو ابن الرواس الذي أحسن استقبالهم وقدم هدية نفيسة ثم أرفقها بخطبة بليغة حماسية أتى فيها على ذكر ما لخالد بن الوليد بطل الإسلام من الكرامة في حمص وكيف أن العالم في كل العصور احترموا ذكراه

---

101 – تيمور شاه أو تيمورلنك، قائد مغولي ومؤسس الامبراطورية التيمورية في وسط أسيا(أفغانستان الحديثة وإيران وما حولهما في وسط أسية)، يمت بصلة قرابة إلى ذرية جنكيز خان من ناحية الأم لكنه لم يحمل لقب خان لعدم انتسابه إلى عائلة جنكيز خان من ناحية الأب، ولد سنة 736هـ/ 1336م، وتوفي سنة 805هـ/ 1405م، هارولد،لامب: تيمورلنك، ترجمة: أبو النصر عمر، المطبعة الوطنية، بيروت، 1934م، ص23.

102 – المقريزي: السلوك، ج2، ص1031.

103 – الملك المنصور الثاني محمد بن المظفر الثاني محمود، ولد سنة 642هـ/1245م، وتولى الحكم وعمره عشر سنوات، توفي سنة 683هـ/ 1284م، الذهبي: سير أعلام النبلاء،ج12، ص33.

104 – أبو الفداء: المختصر في أخبار البشر، ج3، ص201.

وأكرموا مثواه، فقبل تيمور الهدية راضياً ووهب حمص لخالد بن الوليد المدفون في ثراها، وقد وصف ذلك ابن عربشاه فقال:

ألا لا تجاور إلا الخيرين أحيا وكن جارهم في القبور
ألم تر حمص وسكانها نجوا من بحار بلايا تمور
لأنهم جاوروا خالدا ومن جاور الأتقيا لا يبور [105]

وولى عليها عمر بن الرواس وتابع سيره إلى دمشق[106].

خاتمة:

اهتمت الدراسة بتفصيل حياة المغول وبداية انتشارهم في العالم أجمع وخاصة العالم الإسلامي، وأسباب سقوط الدول السريع، كفشل الدولة الخوارزمية في وقف هذا الزحف، بسبب كره الشعب لنظام الحكم فيه، وعدم ولائه له، والنزاع الداخلي وضعف القوة العسكرية، وحبّ الدنيا وأنانية الحكام، وقصر نظر الخليفة العباسي الناصر لدين الله.

ومن ثم كان هناك وقفة تحليلية في أسباب زوال الخلافة العباسية، وأهمها غياب القيادة الحكيمة وضعف الجيش العباسي، وتعدد مراكز القوى وتشرذمها وعدم التنسيق فيما بينها، ودور الصراعات المذهبية والتي ساهمت في السقوط.

كما تم التطرق إلى احتلال بلاد الشام، وعمليات القتل والنهب وسقوط الملوك عن عروشها، ومن ثم قيام المماليك بقيادة قطز بجهود للتصدي للمشروع المغولي وايقافهم، كما حصل في عين جالوت، وأسباب الانتصار بها والتي مردها

---

[105] – ابن عربشاه، أحمد بن محمد ت.854ه/1450م: عجائب المقدور في نواب تيمور، تحقيق: أنطون صالحي اليسوعي، ط3،دار الشرق، بيروت، 1992م، ص229.

[106] – المقريزي: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، القاهرة،ط1، 1931م، ج2، ص72؛ أسعد، عيسى: تاريخ حمص، مطرانية حمص الأرثوذكية، مكتبة النور، حمص، 1984م، ص 127.

إلى وجود القيادة الحكيمة وتوسيد الأمور إلى أهلها، ووجود الجيش القوي المدرب، وإحياء روح الجهاد، والعبقرية في التخطيط.

وتمت دراسة المعارك التي جرت بين المغول والمماليك بعدها حول مدينة حمص المهمة جغرافياً واستراتيجياً دراسة عسكرية تفصيلية، وكيف تم النصر عندما اجتمعت الأسباب الموجبة لذلك، وعندما ضعفت الأسباب تمت الهزيمة، إن النصر العسكري على الأعداء ممكن إذا توفر الأسباب الموجبة لذلك ومن أهمها القيادة الحكيمة المتماسكة المؤمنة بذلك والمبتعدة عن الإثرة وحب الذات، ووجود الجيش العقائدي القوي المدرب تدريباً جيداً، والروح المعنوية العالية للقادة والمرؤوسين، ووجود مصادر السلاح والمؤن والاعتماد على تأمينها ذاتياً، وإذكاء روح الجهاد والإيمان بأن النصر من عند الله. ومن أسباب نجاح المماليك في بلاد الشام تمسكهم الشديد بولائهم الديني، مع أن معظمهم قد تربى في ظل ديانات أخرى، ولم نشاهد عند كل سلاطين المماليك والأمراء والقادة من خان البلاد أو هادن أو تآمر مع قومه السابقين ضد دولة المماليك إلا نادراً، ومن أسرار انتصاراتهم على المغول حرصهم الشديد على السرية التامة، ومن الممكن القول إن سبب فشل المغول في السيطرة على بلاد الشام يعود أيضاً لفشل عقد تحالف فعلي ودائم بين المغول والصليبيين.

وثبت لنا أهمية نيابة حمص والإمدادات والنجدات التي قدمتها في الحروب ضد المغول، ولهذا قدم السلاطين لنواب حمص المكافآت سواء بالألقاب أو زيادة مساحة نيابتهم من خلال ضم أجزاء ومدن جديدة لهذه النيابة.

قائمة المصادر والمراجع

1- المصادر:

1-ابن الأثير، عز الدين علي بن محمد ت.630هـ/1232م: الكامل في التاريخ، دار صادر، بيروت.

2- الأصبهاني، حمزة بن الحسن ت.360هـ/970م: الدرة الفاخرة في الأمثال السائرة، دار المعارف، القاهرة، 2007م

3- ابن إياس، محمد بن أحمد ت.930هـ/1524م: بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق: محمد مصطفى، ط2، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1984م.

4- ابن أيبك الدواداري، عبد الله ت.736هـ/1335م: كنز الدرر وجامع الغرر الجزء التاسع وهو الدر الفاخر في سيرة الملك الناصر، تحقيق: هانس روبرت وديمر، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة،1960م.

5- ابن تغري بردي، جمال الدين ت.874هـ/1470م: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تحقيق محمد حسين شمس الدين،ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1992م.

6- ابن العلقمي، محمد بن علي ت.709هـ/1322م: تاريخ الدول الإسلامية وهو كتاب "الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، بيروت، دار صادر، 1960م.

7- ابن الوردي، عمر بن مظفر ت.741هـ/1354م: تاريخ ابن الوردي، دار الكتب العلمية، بيروت،1996م.

8- الحموي، ياقوت بن عبد الله ت.626هـ/1228م: معجم البلدان، ط2، دار صادر، بيروت،1995م.

9- الحميري، محمد بن عبد الله ت.900هـ/1496م: الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت، د.ت.

10- الذهبي، محمد بن أحمد الدمشقي ت.748هـ/1347م: تاريخ الإسلام، تحقيق: بشار عواد، دار الغرب الإسلامي، بيروت، د.ت.

11-_____: سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، ط3، مؤسسة الرسالة، بيروت،1985م.

12-_____ : تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: عمر التدمري، دار الكتاب العربي، 1987م، ج15.

13- أبو شامة، عبد الرحمن بن إسماعيل ت.665هـ/1266م: الذيل على الروضتين، تحقيق: إبراهيم شمس الدين،ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2002م.

14- شيخ الربوة، محمد بن أبي طالب ت.727هـ/1326م: نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، مكتبة المثنى، العراق، د.ت.

15- ابن العبري، غريغوس بن أهرون ت.685هـ/1186م: تاريخ مختصر الدول، تحقيق: أنطون صالحاني اليسوعي، ط3، دار الشرق، بيروت، 1992م.

16-ابن عربشاه، أحمد بن محمد ت.854هـ/1450م: عجائب المقدور في نوائب تيمور، تحقيق: أحمد فايز الحمصي، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1986م.

17- العمري، أحمد بن فضل الله ت. 749هـ/1348م: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تحقيق: دوريتا كرافولكسي، ط1، المركز الإسلامي للبحوث،

بيروت، 1986م.

18-العيني، محمود بن أحمد ت.855ه/1451م: عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، تحقيق: عبد الرزاق القرموط، ط1، الزهراء للإعلام العربي، 1989م.

19- أبو الفداء، إسماعيل بن علي ت.732ه/1331م: المختصر في أخبار البشر، ط1، المطبعة الحسينية المصرية، القاهرة، د.ت.

20- ابن أبي الفضائل المفضل ت. بعد 759ه/ 1358م: النهج السديد والدر الفريد فيما بعد تاريخ ابن العميد، تحقيق: أي بلو شيه، ط1، باريس، 1911م.

21- القلقشندي، أحمد بن علي ت.821ه/1418م: صبح الأعشى في صناعة الإنشا، شرحها وعلق عليها: محمد حسين شمس الدين، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، 1987م.

22- ابن الطقطقي، محمد بن علي بن طباطبا ت.709ه/ 1390م: الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، تحقيق: عبد القادر محمد مايو، دار القلم العربي، بيروت، د.ت.

23- ابن كثير، اسماعيل بن عمر: البداية والنهاية، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط1، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، 1997م.

24- المقريزي، أحمد بن علي ت.845ه/1441م: المواعظ والاعتبار، القاهرة، ط1، 1931م.

25-_____ السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق: محمد مصطفى زيادة، ط2، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، مصر، 1956م.

26- النويري، أحمد بن عبد الوهاب ت.732ه/1331م: نهاية الأرب في فنون الأدب، القاهرة، 1976م.

27-الهمذاني، رشيد الدين فضل الله: جامع التواريخ في غزو المغول، ترجمة: محمد صادق نشأت، فؤاد عبد المعطي الصياد، القاهرة، الإدارة العامة

للثقافة، 1960م.

28-ابن الوردي: عمر بن المظفر ت.749هـ/1350م: 1448م: تاريخ ابن الوردي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1996م، ج2، ص189

29- ابن يحي، صالح : تاريخ بيروت وأخبار الأمراء البحتريين من بني الغرب، تحقيق: لويس شيخو، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، 1898م.

30- اليونيني، موسى بن محمد ت.726هـ/1325م: ذيل مرآة الزمان، بعناية وزارة التحقيقات الحكمية والأمور الثقافية للحكومة الهندية، ط2، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، 1992م.

المراجع:

1-أحمد، حمدي: سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي، دار الفكر العربي، القاهرة، 1953م.

2-أسعد، عيسى: تاريخ حمص، مطرانية حمص الأرثوذكية، مكتبة النور، حمص،1984م.

3- إقبال، عباس: تاريخ المغول منذ حملة جنكيز خان حتى قيام الدولة التيمورية، مكتبة المهتدين، 2000م.

4-الأمين، حسن: غارات على بلاد الشام،ط1، دار قتيبة، بيروت، 2000م.

5- جبران، نعمان: دراسات في تاريخ الأيوبيين والمماليك، دروب ثقافية للنشر والتوزيع،2011م.

6- الحايك، منذر: العلاقات الدولية في عصر الحروب الصليبية، الأوائل للنشر والتوزيع، دمشق، 2000م.

7- حسن، علي: دراسات في تاريخ المماليك البحرية وفي عصر الناصر

محمد بوجه خاص، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1944م.

8-الحمداني، فاطمة: الملك الصالح وانجازاته السياسية والعسكرية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، بغداد، رسالة ماجستير، 1995م.

9- الخضري، محمد: تاريخ الأمم الإسلامية، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، 1970م.

10- الخطيب، إبراهيم ياسين: تاريخ المغول والمماليك، دار شيرين، عمان، 1993.

11- الخطيب، مصطفى: معجم المصطلحات والألقاب التاريخية،ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1996م.)،

12- الزاوي، الطاهر: تاريخ الفتح العربي في ليبيا، دار المعارف، مصر، 1954م .

13- زعرور، إبراهيم: الحياة الاجتماعية في بلاد الشام في العصرين الأيوبي والمملوكي، رسالة دكتوراه، جامعة دمشق، دمشق، 1990م.

14- السرجاني، راغب: قصة التتار من البداية إلى عين جالوت، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، الكويت، 2009م.

15- الصياد، عبد المعطي: المغول في التاريخ، دار النهضة العربية، بيروت، 1980م.

16- عاشور، فايد: الجهاد الإسلامي ضد الصليبيين والمغول في العصر الأيوبي، دار الاعتصام، القاهرة، 2009م،

17- العريني، السيد الباز: المغول، دار النهضة العربية، بيروت، 1967م

18-عمران، محمود: المغول والأوربيون والصليبيون، مكتبة النور، الاسكندرية، 2009م.

19- العودة، سليمان: كيف دخل التتار بلاد المسلمين، ط3، دار طيبة، القاهرة، 2001م.

20–الغامدي، سعد: سقوط الدولة العباسية ودور الشيعة بين الحقيقة والاتهام، مكتبة التوبة للنشر والتوزيع، الرياض، 2004م.

21– الغامدي، سعد: الفتوحات الإسلامية لبلاد الهند والسند، مكتبة التوبة للنشر والتوزيع، الرياض، ط1، د.ت.

22– الغامدي، عبد الله: جهاد المماليك ضد المغول والصليبيين، المكتبة الوقفية، د.ت.

23– القزاز، محمد صالح: الحياة السياسية في العراق في عهد السيطرة المغولية، مطبعة القضاء، النجف، 2019م.

24–الطباخ، محمد راغب: أعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء، تحقيق: محمد كمال، ط2، دار القلم العربي، 1988م، ص242.

25– محمد، محمد صالح: عودة الروح للخلافة الإسلامية، دار طويق للنشر والتوزيع، الرياض، 2004م. ،

26–هارولد،لامب: تيمورلنك، ترجمة: أبو النصر عمر، المطبعة الوطنية، بيروت، 1934م، ص23.

27– الهمذاني، رشيد الدين: جامع التواريخ، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، 2008م.

28– ناتخو، قادر: التاريخ الشركسي، ترجمة محمد أزروقة، دار ورد للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 1992م.

29– يحيى، صالح: تاريخ بيروت و أخبار الأمراء البحتريين من بني الغرب، تحقيق: لويس شيخو، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، 1898م، ص137.

الفهرس العام

الموضوع	الصفحة
أولاً: مقدمة:	3
ثانياً: شعوب المغول	3
1- تعريف المغول	3
2- جنكيز خان	4
3- ديانتهم	4
4 -طبيعة حياتهم	5
5 - قانون المغول	5
ثالثاً: غزو المغول للبلاد الإسلامية	7
1- أسباب الهزائم أمام المغول	11
2- أخبار بقية طوائف المغول	12
3- تقسيم البلاد بين أولاد جنكيز خان	12
رابعاً: توجه البلاد إلى البلاد العربية الإسلامية	13
1- احتلال بغداد	13
2- احتلال بلاد الجزيرة	14
3-دخول المغول إلى البلاد الشامية	15
أ- سقوط حلب	15
ب- احتلال حمص	16
ج- تسليم دمشق	16
د-توقف انتشار المغول	17
هـ-وقعة عين جالوت	17
خامساً: المعارك التي جرت مع المغول حول حمص	17
1- وقعة حمص سنة 659هـ/1260م.	19
2- معركة حمص في سنة 680هـ/1280م.	19

3- وقعة حمص سنة 699هـ/1299م.	19
سادساً: خاتمة	29